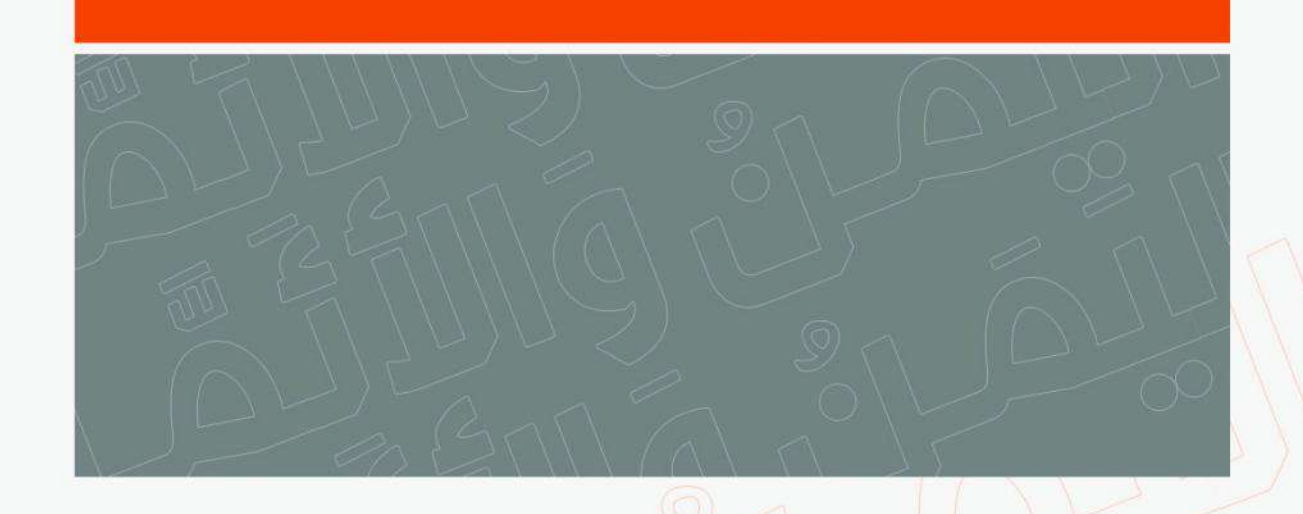
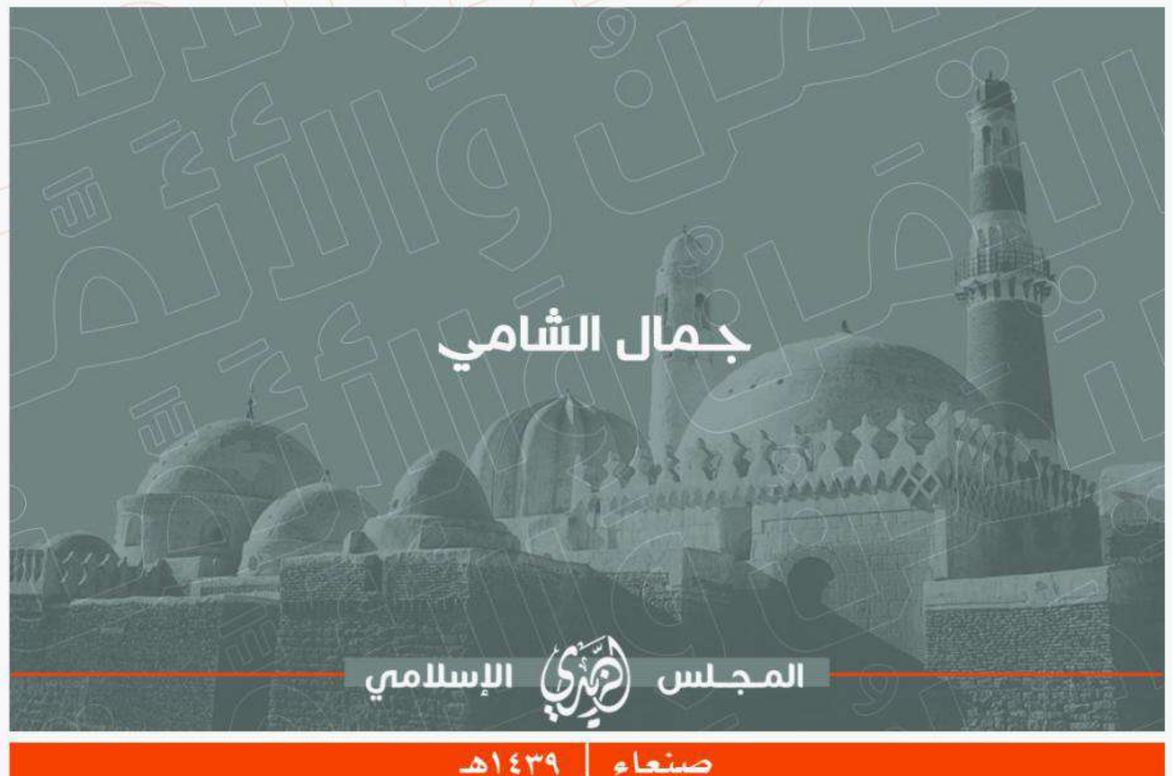


اليَمَنُ وَالأئِمَّة

الهادي والمرتضى والناصر

من خلال

رسالة الإمام الناصر أحمد إلى أهل طبرستان



جمال الشامي

المجلس الهدي الإسلامي

صنعاء | ١٤٣٩هـ

"دعا الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام غلاماً له، فقال له: أوصِلْ إليّ كلَّ ضعيفٍ، ولا تُحْرِقْني وتُحْرِقْ نفسَك بالنار، فقد فَسَخْتُ الأمرَ مِن عنقي إليك".

سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين

تأليف علي بن محمد بن عبيدالله العباسي العلوي

٦ صفر ١٤٣٩هـ

ذكرى وصول الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ع) إلى اليمن



اليمن والأئمة

الهادي والمرتضى والناصر

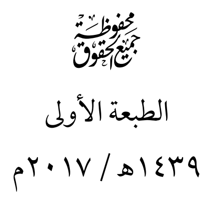
من خلال

رسالة الإمام الناصر أحمد إلى أهل طبرستان

جمال الشـامي



صنعاء ١٤٣٩هـ



الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م

تنسيق وإخراج: حفظ الله عقيل

Mobial : 774373456 – 737247737
e-mail : hefdallahageel@gmail.com

تصميم الغلاف

محمد حسان الشامي

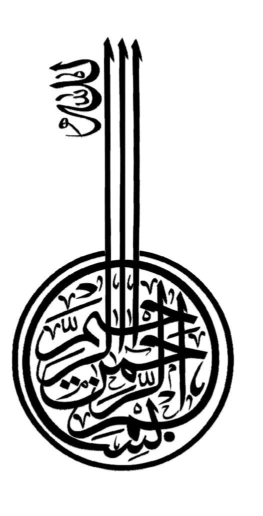


البريــد الإلكتروني: **zmagls 5 @gmail.com**

الموقع الإلكتــروني: **www.zaidiah.com**

قنــاة التلقــرام : **https://t.me/zmagls**

الفيـــــــــسبوك: **www.facebook.com/AlMaglisAlZZaidiAlEslami**


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمـد لله ، رب العـالمين والـصلاة والـسلام علـى المبعـوث رحمـة للعالمين، وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد:

لقد بلغ الانحطاط الأخلاقي في عصرنا الحالي النهايـة، واختلَّت الفطرة الإنسانية، ورُدَّت الضرورات العقلية، "فالعمى شامل والهدى خامل"، وأصبحت النسبة فيه للنفي لا للإثبات في كل المجالات، فأصبح الاعتداء مساعدة، والدفاع عدواناً، و"الإساءة إحساناً، والكفر بالله إيماناً، والهدى فيه - أي القرآن- عندهم ضلالاً، وعلماء أهله به جهالاً، ونور حكمه ظُلَماً، وبصر ضيائه عمًى، بل حتى كادت أن تُجعل فَاؤُهُ ألِفاً، وألفه للجهل بالله فاءًا، تلبيساً على الطالب المرتاد، وضلالة من العامة عن الرشاد"[1].

وطال مؤخراً تاريخَ اليمن المجيد شيءٌ من ذلك الانحراف التصوري بواسطة ألسنٍ وأقلامٍ دخيلة وحاقدة عليه، أكثرت من الإساءة والتشويه على الإمامة في اليمن والأئمة متعلقة بأوهام

(١) مجموع الإمام القاسم الرسي، ج٢ ص٣٧.

وخرافات غرُّوا أنفسهم بها، بلا حياءٍ ولا خجل يأتي هؤلاء يطعنون في سيرة أئمة اليمن بعد ١١٠٠ عام، جاحدين لما عُلم ضرورة من صلاحِ سِيَرِهم وعظمة علمهم، ومحاربين لجليل تراثهم الذي هو بحقٍّ تراث اليمن، ولا يمكن تفسير الخبر النبوي (**الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية**)[(١)] إلا بهذا التراث الذي يتميز عن تراث البلدان الأخرى وينحصر في اليمن حصرا، وقد شهد لتفوُّق وتقدُّم التراث اليمني الكلامي والفقهي العقلاء من المسلمين وغيرهم، لما تميَّز به من النظرة الأُمية للكل والانفتاح على الكل، مع الاعتدال والأمانة في نقل الأقوال.

ونظراً لما يشهده العالم اليومِ من تقدُّمٍ علمي مع انحطاط أخلاقي، وبلوغ بعض العرب الدركَ الأسفلَ من الانحطاط والتخلُّف والجهل والعمالة والخيانة وانعدام الديانة والأخلاق حتى أصبحوا معدومي الأهلية، لم يجدوا ما يقدِّمون للعالم من محاسن تاريخهم ولا من اختراعاتهم سوى العنف التكفيري المسمى بـ(الإرهاب)، وفي ظل هذه الأوضاع المهينة مع فخر المسلمين بتاريخهم ومطالبة الكثير منهم بحكمٍ إسلامي يأتي التساؤل التالي: ماذا يمكن لهؤلاء اليوم أن يقدِّموا من نظامٍ إسلامي يمكن تطبيقه أو الاستفادة منه

---

(١) صحيح مسلم، ج١ص٧١.

اليوم أو يكون مصدرَ فخرٍ لهم أمام الغرب الديمقراطي؟

فهل يقدمون ما كان سائداً من (التغلُّب بالقهر)[1] و(الوراثة) و(ولاية العهد)[2] كمصدرٍ لتولي السلطة في الإسلام.

أم بجعلهم مقام الحاكم (الخليفة، الملك، الرئيس) "ظل الله في الأرض"[3]، وأن "ما عليهم حساب ولا عذاب"[4]، وأن "ذات حضرة السلطان هو مقدَّس وغير مسئول"[5].

أم بتحريم مقاومة ظلم الحاكم ووجوب الصبر على الظلم والطغيان "تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك"[6]، و "مَنْ رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبِر"[7]، "ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا، فمات عليه، إلا مات ميتة

---

(١) رسالة في الخلافة العظمى للفاسي، ص٤٠.

(٢) قال الماوردي: وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته. الأحكام السلطانية، ص٣٠.

(٣) السنة لابن أبي عاصم، ج٢ص٤٨٧.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج٥ص١٥١.

(٥) القانون الأساسي العثماني المادة ٥.

(٦) صحيح مسلم، ج٣ص١٤٧٦.

(٧) صحيح مسلم، ج٣ص١٤٧٧.

جاهلية"[1]، و"أدُّوا إليهم حقَّهم، وسلُوا اللهَ حقَّكم"[2].

أم بالصبر على الجور وتعطيل الأحكام حتى يظهر الغائب، فـ "اسكنوا ما سكنت السموات والأرض"[3]، و"الزموا الأرض، واصبِروا على البلاء، ولا تُحرِّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يجعل اللهُ لكم"[4].

أم بقولِ الحاكم للشعب: "والله لا يأمرُني أحدٌ بعد يومي هذا بتقوى اللَّه عز وجل إلا ضربت عنقه"[5]، و" أنا خازن من خزان الله، أعطي من أعطاه الله، وأمنع من منعه الله"[6].

وأما معيارهم في اختيار الحاكم فقد خالفوا جميع الأمم "لو قصدتَ إلى الدهرية من أهل الهند فقلت: لِمَ قدمتم (سابوركم) هذا عليكم؟ لقالوا: لأنه لا تطيب بلادنا، ولا ينقطع فسادنا، ولا

(١) صحيح مسلم، ج٣ص ١٤٧٨.
(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج٦ص١٧٩.
(٣) أمالي الطوسي، ص٤١٢.
(٤) وسائل الشيعة، ج١٥ص٥٥.
(٥) أنساب الأشراف، ج٧ص٢٠٦.
(٦) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص١٤٤.

يصلح الناسُ إلا بإمامٍ قائمٍ فيهم، ولم نجد فينا أذكى عقلاً ولا أفضل حالاً من هذا (السابور) فلذلك خصصناه بالرئاسة علينا.

ولو قصدتَ إلى الثنوية فقلت لهم: ما دعاكم إلى أن ترئسوا هذا (الجبت) عليكم؟ لقالوا: لأن هذا هو أشدنا نباهة وأحسننا تدبيراً.

ولو قصدتَ إلى الخزَر وإلى الديلم فقلتَ لهم: ماذا دعاكم إلى أن ترئسوا عليكم (جيدا جيدكم) هذا؟ لقالوا: لأن (جيدا جيدنا) هذا هو أبصرُ بقوامِ أمرِنا وأقطعُ للفساد وأقمعُ للظالم.

ولو قصدتَ إلى الترك ثم قلتَ لهم: ما دعاكم إلى أن تقدموا على رئاستكم (خاقانكم) هذا؟ لقالوا: لأن (خاقاننا) هذا هو أقوم بحرب عدونا وأنصف لمظلومنا.

ولو سألتَ المجوس فقلت: لِمَ قدَّمتم هذا (الجاثليق) عليكم؟ لقالوا: لأنه أعرف بما يصلحنا وأجمع لكلمتنا وأقطع لتشتُّتنا.

ولو سألتَ اليهودَ عن (رأس جالوتها) فقلتَ لهم: لِمَ قدَّستم (جالوتكم) هذا عليكم؟ لقالوا: لأنه أرحمنا قلباً وأرضانا خلقاً وأوفى لكبيرنا وأرحم لصغيرنا وهو أتلانا للتوارة وأعرفنا بأمر ربنا وأميرنا بين الحلال والحرام، ومع ذلك إنه ابن نبينا.

ولـو سـألتَ الحَـبَش عـن (نجاشـيهم) فقلـتَ: مـا حملكـم علـى أن تقـدِّموا هـذا (النجاشــي)؟ لقـالوا: لأنــه أقرانـا للـضيف وأمـضانا بالسيف وأعلمنا بتدبير [حسن] وبنا وأعرف بربنا.

وكـذلك لـو قـصدْتَ إلى النـصارى فقلـتَ لهـم: لِـمَ قـدَّمتم هـذا (القيـصر) علـيكم ولم تُقَـدِّموا غـيره؟ لقـالوا: لأنـه أعفُّنـا فرجـا وأجودُنا كفا وأعرفنا بالسياسة وهو أتلانا للإنجيل.

إلا الحشوية[1] الحيارى الجهال السكارى[2] لا يعقدون إمامتهم إلا لكـل جبـار طـاغي، ولكـل فاسـق بـاغي، أبـين النـاس جهـلا، وأصغرهم عقلا، وأندرهم علما، وأكثرهم عنادا، وأظهرهم فسادا.

وقد ولي أمورَهم عددٌ من أئمتهم، وهذه صفتهم: يلعبون بالحمام، ويناقرون بالديوك، ويناطحون بالكباش، ويهارشون بالكلاب، أغمارٌ أشرارٌ يفسدون في الأرض ولا يصلحون، لوَطة بغاة، اتخذوا مال الله دُوَلا، وعبـاده خـولا، ودينـه دغـلا، فاشـتروا بمـال الفقـراء والمـساكين الحصان والمعازف والقيان، وشربوا الخمور وركبوا بها الفجور، ونقضوا

(١) هم الأغلب في كل العصور ومن حكموا فيما سبق وما زالوا.

(٢) يقصد سكر الجهل.

العهود، وأعزوا النصارى واليهود، فعمدت الحشوية إلى من هذه صفته وهذه أفعاله ثم عقدوا له إمامتهم، وقالوا: هذا يقوم مقام محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومقام أئمة الهدى مع تلاوتهم: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[هود:١١٣]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[النساء:١٠٥]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[التوبة:١٢٣]، وقوله: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[التوبة:١٢]، فالله سبحانه يأمُرُنا بقتال الكافرين والقاسطين الظالمين، والحشوية يتَّخذونهم أئمة، يصلون خلفهم الصلوات، ويؤدون إليهم الزّكوات، خلافاً لما أنزل الله في كتابه وعناداً لما أمر الله به رسولَه، ويزعمون أنهم مهتدون"[1].

هذا هو التراث العربي الإسلامي السياسي الموجود والمعلوم لدى الناس، وأما كيفية صدور هذه الغرائب السياسية وصبغها

(١) مجهول في علم الكلام، - خ-.

بالإسلام وأنها المعبِّر عنه فلا بد من النظر والتحليل لأشخاصِ وبيئةِ مَنْ صدرَت عنهم وهم العرب، فيذكر ابن خلدون بعضَ التحليلات عنهم، فيرى أن سبب بعدهم عن السياسة "لأنّهم أكثر بداوة من سائر الأمم"[(١)]، ولأن التغلُّب هو غايتهم "بطبيعة التّوحّش الّذي فيهم، أهل انتهاب"[(٢)]، وأن القانون لا ينفع معهم "خلق التّوحّش الّذي فيهم، أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض؛ للغلظة والأنفة وبُعْد الهمّة والمنافسة في الرّئاسة"[(٣)]، وأنهم إذا تغلَّبوا على بلادٍ أسرع الخراب إليها؛ ذلك "أنّهم أمّة وحشيّة، باستحكام عوائد التّوحّش وأسبابه فيهم، فصار لهم خلقا وجبلّة، وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن رِبقة الحكم وعدم الانقياد للسّياسة، وهذه الطّبيعة منافية للعمران ومناقضة له، فغاية الأحوال العاديّة كلها عندهم الرّحلة والتّغلب، وذلك مناقض للسّكون الّذي به العمران ومنافٍ له"[(٤)]، ولأجل كل ذلك يصعب ويستحيل قيام نظام سياسي أخلاقي ديني مغاير لما هو معلوم.

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج١ص١٨٩.

(٢) المصدر السابق، ج١ص١٨٦.

(٣) المصدر السابق، ج١ص١٨٩.

(٤) المصدر السابق، ج١ص١٨٧.

إلا أن هناك ما هو مجهول للناس وغير معلوم ولا يراد له أن يُعْلَم وهو قيام نظام سياسي عربي إسلامي بحق ومتطور، قام في بيئة عربية بل في أصل العروبة وهي اليمن، وأبرز معالم هذا النظام كما يلي:

- أن تولي الحكم فيه عن طريق الفضل والطلب، وذلك من خلال توفُّر معايير عديدة تتناسَب مع طبيعة المنصب، والدعوة كوسيلة للترشح.
- قيام النظام السياسي فيه هو نتيجة توافق إرادة الأمة مع إرادة الإمام لغرض تطبيق القانون - الكتاب والسنة - على الجميع، مع قيامِ حقوقٍ متبادلَة بينهما "إن لكم علي حقا، وإن لي عليكم حقا"[1]، "وليس للإمام أن ينتقص الرعية حقها، ولا للرعية أن تنتقص حق إمامها"[2].
- الإمام فيه ليس إلا نائبا عن الأمة في تطبيق القانون، ومحكوما برقابة دينية وشعبية في تطبيقه.
- يتهرَّب فيه المتأهِّل للإمامة عن دعواها خوفاً من الله أو من

(١) أنساب الأشراف، ج٢ص٣٨٠.

(٢) الجامع الكافي، -خ-.

وجود مَنْ هو أكملُ منه وأقدَرُ ويتحتم عليه تقلدها، "والله لو علمت أن أحداً في هذا العصر أقوم بهذا الأمر مني .. لاتَّبعتُه جداً حيث كان، وأقاتل بين يديه"[(١)]، "والذي لا إله إلا هو وحقِّ محمد ما طلبتُ هذا الأمر، وما خرجتُ اختياراً، ولا خرجتُ إلا اضطراراً لقيام الحجة علي، ولودِدْتُ أنه كان لي سعةٌ في الجلوس"[(٢)].

- ويقول فيه الإمام للأمة: "بيني وبينكم هذا - المصحف - آية آية، فإن خالفت ما فيه بحرفٍ فلا طاعة لي عليكم، بل عليكم أن تقتلوني أنا"[(٣)].

إن نظاماً كهذا لجدير بالعناية والاهتمام بل والافتخار؛ فوجود الصيغة العقْدية الاجتماعية فيه قبل مولد كبار رموز الديمقراطية (جون لوك) و(جان جاك روسو) - صاحبي نظرية العقد الاجتماعي — بـ٩٢٢ سنة، بالإضافة إلى تفوُّقِ صيغة العقد في هذا النظام بالشرعية الدينية والممارسة العملية لا التنظيرات الخيالية مستحيلة التطبيق كالديمقراطية نموذجاً.

---

(١) سيرة الهادي إلى الحق، ص٥١.

(٢) سيرة الهادي إلى الحق، ص٥٢.

(٣) سيرة الهادي إلى الحق، ص٥١.

ونظـراً لأهميـة الموضـوع فقـد وقـع الاختيـار علـى هـذه الوثيقـة التاريخية الهامة لتحقيقها ونـشرها؛ ألا وهـي (رسالة الإمـام الناصـر لـدين الله إلى أهـل طبرسـتان) لتـضمنها علـى الكـثير مـن الفوائـد، وتأتـي أهميتُها من جوانبَ ثلاثةٍ: تاريخي، وسياسي، وإخباري.

الأول: الجانب التـاريخي وقـد جـاء فيـه تـأريخ للفـترة الزمنيـة في الـيمن، تحديـداً نهايـات القـرن الثالـث مـن الهجـرة، مؤكِّداً حقـائق تاريخية منشورة في كتب التاريخ تمثلت فيما يلي:

- أن اليمن قبل وصـول الإمـام الهـادي عليـه الـسلام كانـت تعـاني مــن الــويلات في مختلــف النــواحي الــسياسية والاقتــصادية والاجتماعية والدينية، وكان التمزُّق والتفرُّق غالبًا على أهلها، مع انعدام القيادة الراشدة لهم.
- أنـه بـالنظر إلى الأوضـاع الـسيئة الـتي عانـت منهـا الـيمن كـان ظهور الإمام الهادي إلى الحق مخلِّصاً له منها.
- بوصول الإمام الهادي إلى اليمن حدث تحسُّنٌ للأوضـاع في جميـع النواحي، لا سيما الناحية السياسية والدينية، وقد حاول الهادي جاهـداً الإصـلاح الـشامل للـيمن، وتحمَّل لأجـل ذلـك المتاعـبَ والمشاقَّ والآلامَ حتى توفَّاه الله تعالى.

- بيان جرائم علي بن الفضل القرمطي في مناطقَ من اليمن، وذكر بعض أقواله وأفعاله التي بلغت الخروج من الدين: كادعاء النبوة والإلحاد والقتل والذبح والسبي، وما عاناه اليمنيون منه.

- بيان مطالبة أهل اليمن للإمام المرتضى (ع) بالنهوض بالإمامة واعتذاره عن ذلك، وأيضاً مطالبتهم للإمام الناصر(ع) واعتذاره ثم قبوله المشروط.

- بيان عمق العلاقة بين اليمن وطبرستان، وذلك من خلال زيدية طبرستان والأئمة (الهادي، المرتضى، الناصر)، ومدى الحب والولاء بينهم، والتواصل بالكتب والرسائل والأشخاص.

الثاني: الجانب السياسي ولا يقل أهمية وقيمة عن الجانب التاريخي وقد جاء فيه من البيان والحقائق ما يلي:

- بيان عظمة الإمامة نظرياً وعملياً باعتبارها خالفة للنبوة في الفكر الزيدي؛ ولأجل ذلك وُضِعَت المعايير اللازمة لها والكيفية الصحيحة لقيامها، مع التخوُّف من دعواها لمن تأهَّل لها لجسامتها، فالإمامان المرتضى والناصر عليهما السلام في هذه الرسالة خير دليل على ذلك ، فهما مستحقان لها من حيث الكمال، والمطالبة بالدعوة لهما.

- بيان مع التحذير الشرعي لخطر تولي أمور الناس ممن لا كفاءة له ولا قدرة له على الإدارة وتطبيق العدل وإزالة الظلم والفساد، وذلك من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
- التأكيد على مسألة طريقة تولي الإمامة من خلال الفضل والطلب لا العهد والتغلُّب، وقد توهّم البعض أن الإمام المرتضى (ع) إنما تولى الإمامة بعهدٍ من أبيه الهادي (ع)، وفي هذه الرسالة ما يبطل هذا القول، فبعد وفاة الإمام الهادي (ع) شغر منصب الإمامة، فأقبل الناس عند ذلك إلى الإمام المرتضى - لما علموا من كمال الشروط لديه - طالبين البيعة له وما دار بينهما بخصوص هذه المسألة كما ذكره الإمام الناصر.
- بيان الكيفية التي من خلالها تمَّتِ البيعةُ للإمام الناصر وما دار حولها من أخذٍ وردٍّ بين الإمام والناس، وأنه لم يتسلَّم الأمرَ من أخيه كما ذكرت بعض المصادر، وقد خلت المصادر الأخرى عن تفصيل هذا الأمر.
- بيان سمو أخلاق المتأهّلين للإمامة وغايتِهم ومقاصدِهم السامية منها، وأن مسألة الترشُّح للإمامة ليس لغرضٍ دنيوي قط وإنما الغرض قيام الأكمل والأكفأ لها والتسليم من الجميع له، وقد جاء في الرسالة تعظيم الإمام الناصر (ع) للإمام المرتضى (ع) مع جميل

تواضع يندر وجوده في غير هذه البيئة، فقد كان الإمام الناصر (ع) - مع كمال الاستحقاق - يرجو قيام الإمام المرتضى بديلاً عنه، وهذا يؤكِّد على مسألةٍ أخلاقية راقية، وعلى أهمية التأهل لمنصب الإمامة، وقد تم بيان هذه المسألة وغيرها بمزيد من التفصيل في (النظام السياسي الزيدي دراسة تحليلية مقارنة)[1].

الثالث: الجانب الإخباري، أي مصدر هذه المعلومات، وهو الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى عليه السلام، ولا يخفى مكانته الكبيرة في الإسلام فهو أحد أعلامه، وإمامٌ للزيدية واليمن، ورمزٌ ومرجعٌ لأهل العدل والتوحيد، وهذا يجعل قيمة بالغة لما يصدُرُ عنه؛ فسعة علمه وعدالته ومكانته الروحية والسياسية والإدارية تجعل ما أورده محلا للتصديق والاستفادة والتقليد، ومن يتأمل ما كتبه في هذه الرسالة يتأكد على عظيم قدره وشدة ورعه وزهده وعلمه.

جمال الشامي
٢٨ محرم ١٤٣٩هـ.
١٨/١٠/٢٠١٧م.

---

(١) للمحقق، ولا يزال مخطوطاً.

التعريف بالأئمة

- الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين.
- المرتضى لدين الله محمد بن يحيى بن الحسين.
- الناصر لدين الله أحمد بن يحيى بن الحسين.

الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام

هو: يحيى بن الحسين ابن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل ابن الإمام إبراهيم ابن الإمام الحسن ابن الإمام الحسن ابـن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، أمير المؤمنين، الهادي إلى الحق المبين، أبو الحسين[(١)].

أمه: فاطمة بنت الحسن بن محمد بـن سليمان بـن داود بـن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أم الحسن[(٢)].

مولده: وُلِد بالمدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ، ونشأ في ظل أسرة علوية علمية كريمة، فأخذ عـن آبائه علومه، وكان في الـورع، والزهـد، والعبادة إلى حدٍّ تقصرُ العبارة دونه، وظهور ذلك يغني عن تكلُّف بيانه، "ولأن الزهد أمر شامل لبيت القاسم بن إبراهيم عليه السلام، عامٌّ في أولاده وأسباطه إلى يومنا هذا"[(٣)].

---

(١) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية، ص١٢٧.

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص١٧١.

(٣) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية، ص١٢٨.

مكانته: احتل الإمام الهادي مكانة عالية في الفكر الإسلامي عموماً وفي الزيدية واليمن خصوصاً، وقد عبَّر عن عظيمِ قدره ومكانته أناسٌ من خارج الزيدية، ونكتفي بذكر أقوالهم، ومنهم:

- النسّابة علي بن أبي الغنائم العمري - المتوفى سنة ٤٤١هـ :
"الهادي الجليل الفارس الديِّن الورِع إمام الزيدية، وكان مصنِّفًا شاعرا ظهر باليمن، مات سنة ثماني وتسعين ومائتين، وكان يتولى الجهاد بنفسه، ويلبس جبة صوف وكان قشفا رحمه الله"[(١)].

- الإمام علي بن حزم الظاهري - المتوفى سنة ٤٥٦هـ -: "ومنهم القائمون بصعدة من أرض اليمن؛ فمنهم: جعفر الملقب بالرشيد، والحسن المنتخب، والقاسم المختار، ومحمّد المهدي، بنو أحمد الناصر بن يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم الرسي ابن إبراهيم طباطبا؛ وليحيى هذا الملقّب بالهادي رأيٌ في أحكام الفقه، قد رأيتُه، لم يَبْعُد فيه عن الجماعة كلَّ البعد"[(٢)].

- المؤرِّخ النسابة أحمد بن محمد القرطبي - المتوفى نحو ٦٠٠هـ -:

---

(١) المجدي في أنساب الطالبيين، ص٢٣١.

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص٤٤.

"وكان قدوم الهادي يحيى بن الحسين إلى صعدة لستة خلت من صفر سنة أربعٍ وثمانين ومائتي سنة، وكان بين خولان فتنة عظيمة وربيعة، فأصلح بينهم واتفقت كلمتهم، فملَّكوه بلاد خولان، وساروا معه إلى اليمن حتى ملكها، وكانوا عمودَ أمره ونظامَ دولته، فأقاموا على ذلك حياة يحيى بن الحسين الهادي وحياة ابنه محمد بن يحيى وحياة ابنه الناصر بن يحيى"[1].

- العلامة المؤرخ محمد بن أحمد الذهبي - المتوفى سنة ٧٤٨هـ -:

"يحيى بن الحسين بن القاسم بن طباطبا العلوي ، كان قد غلب على اليمن ، ودُعِيَ له بصنعاء وما والاها عنه ، وضُرِبَت السكة باسمه ، ثم خرج من صنعاء بعد غلبة القرامطة ، فصار إلى صعدة ، وتسمَّى بالهادي أبي الحسن ، وملك نجران وتلك النواحي، وخطِب له بأمير المؤمنين، وكان حسَنَ السيرة، مات سنة ثمان وتسعين، قام بعده ولدُه محمد ، ولُقِّب المرتضى"[2].

- المؤرخ أحمد بن يحيى العمري - المتوفى سنة ٨٢١هـ -: "الهادي

---

(١) التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب.

(٢) تاريخ الإسلام، ج٢٢ص٣٢١.

يحيى بن الحسين بن القاسم بن طباطبا ، خُطِب له بإمرة المؤمنين في حال أبيه ، ... وبويع بعده لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وثمانين ومائتين ، والخليفة إذ ذاك المعتضد، وكان أول ما عرف من أدبه ، وعُلِم من شرف مطلبه أن أهدِيَت إليه جارية تليق به، فقال:

كفّي لحاظك ليس هذا وقتها ... بل وقت كلّ مهنّد وسنان

أمطاعن الآساد في غاباتها ... حاشا ترود مرابض الغزلان

ثم أعادها إلى سيدها، وقال له: هذه بضاعتك ردت إليك، وهذا نظير ما رُمْتَه من الفائدة في إهدائها، وله مصنفات في الفقه وأدب طائل"[1].

- المؤرّخ النسَّابة أحمد بن علي المعروف بابن عنبة - المتوفى سنة ٨٢٨هـ -: "أما يحيى الهادي بن الحسين ابن الرسي ويكنى أبا الحسين، كان إماماً من أئمة الزيدية جليلاً فارساً ورعاً مصنفاً شاعراً، ظهر باليمن ويلقب بالهادي إلى الحق، وكان يتولى الجهاد بنفسه، ويلبس جبة صوف، له تصانيف كبار في الفقه

(١) مسالك الأبصار، ج٢٤ص٣٩.

قريبة من مذهب أبي حنيفة"[(١)].

- العلامة المحدِّث يحيى بن أبي بكر العامري - المتوفى سنة ٨٩٣هـ -: "وقد قاموا بالإمامة بشروطها قاهرين ظاهرين، فقام منهم بنجد اليمن نحو بضع وعشرين إماماً ، أولهم وأولاهم بالذكر الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى، كان مولده بالمدينة، ومنشؤه بالحجاز، وتعلمه به وبالعراق، وظهور سلطانه باليمن سنة ثمانين ومائتين، وكان جاء إلى اليمن وقد عم بها مذهب القرامطة والباطنية، فجاهدهم جهاداً شديداً، وجرى له معهم نيِّفٌ وثمانون وقعة لم ينهزِم في شيء منها، وكان له علمٌ واسع، وشجاعة مُفْرِطة"[(٢)].

- العلامة أحمد بن محمد الأدنه - المتوفى في ق ١١هـ -: "يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو الحسين .. ويلقب بالهادي، ولد في المدينة في سنة

(١) عمدة الطالب، ص١٧١.

(٢) الرياض المستطابة في معرفة من روى في الصحيحين من الصحابة، ص٣٠٧.

خمس وأربعين ومائتين، وكان عالماً عاملاً وله مصنفات كالأحكام والمنتخب والتفسير في معاني القرآن"[1].

- العلامة محمد بن أحمد أبو زهرة - المتوفى سنة ١٣٩٤هـ -: "هو الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي، ... وُلِد بالمدنية سنة ٢٤٥هـ، وعكف على الفقه يدرسه من كل نواحيه وفي كل مصادره ، وقام هادياً مرشداً يدعو إلى الله سبحانه وإلى صراط مستقيم، وكان مَرْجِعاً في الدين من كل الطوائف الإسلامية والأمصار المختلفة يسألونه ويستفتونه، وهو يرد عليهم برسائل قيِّمة أُثِرَتْ عنه، يدافِع فيها عن القرآن والسنة، ويبيِّن الحق الذي يرد زيغ الزائغين"[2].

- المؤرِّخ خير الدين بن محمود الزركلي - المتوفى سنة ١٣٩٦هـ -: "يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني العلوي الرسي: إمام زيدي، وُلِد بالمدينة، وكان يسكن "الفرع" من أرض الحجاز، مع أبيه وأعمامه، ونشأ فقيها عالماً ورعاً، فيه شجاعة

---

(١) طبقات المفسرين ص٤٥.

(٢) الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ص٥٠٩.

وبطولة، وصنف كتباً ... وراسله أبو العتاهية الهمداني (وكان من ملوك اليمن)، ودعاه إلى بلاده، فقصدها، ونزل بصعدة سنة٢٨٣هـ في أيام المعتضد، وبايعه أبو العتاهية وعشائره وبعض قبائل خولان وبني الحارث بن كعب وبني عبد المدان، وخوطب بأمير المؤمنين، وتلقب بالهادي إلى الحق، وفتح نجران، ... وملك صنعاء سنة٢٨٨هـ، وامتد ملكه، فخُطِب له بمكة سبع سنين، وضُرِبَت السكة باسمه"[١].

- القاضي عبدُالله عبد الوهاب الشمَاحي - المتوفى سنة ١٤٠٦هـ -:
"لقد كان الهَادِي مثلاً لصفات القائد والقدوة الحسنة لأتباعه، مترفِّعاً عن سفاسف الأمور، وعن المتع، شجاعاً في المعارك والأهوال، وفي تطبيق ما يؤمنُ به ويدعو إليه، معتدلاً حتى مع أعدائه"[٢].

- الأديب أحمد بن عبد الرحمن المعلمي - المتوفى سنة ١٤٢٥هـ - عن سيرة الهادي: "إنها سيرة نبي .. لا سيرة إنسان عادي ،

(١) الأعلام، ج٨ص١٤٠.

(٢) اليمن الإنسان والحضارة، ص١١٦.

أشهد أنه من أفذاذ البشرية وعظماء الإنسانية"[1].

- الدكتور أحمد صبحي - أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الإسكندرية -: "ولم يكن في حربه يتبع هارباً، ولا يجهز على جريح، وإن طلب المهزومون الأمان أمَّنهم ورد إليهم أسلابهم، وكان يتشدَّد على عسكره أن لا يدخلوا الزرع، ولا يستحلوا لأنفسهم شيئاً من ثمار المزارعين، وحينما اغتصب بعضُ جنده في (أثافت) شيئاً من الخوخ غضب وثار واحتجب عنهم وهمَّ بتركهم، وقال: لا يحل لي أن أحارب بمثل هؤلاء، ولا أكون كالمصباح يحرق نفسه ويضيء لغيره، والله ما هي إلا سيرة محمد أو النار، ولم يسكن غضبه حتى أبدوا ندمهم وتوبتهم عما فعلوا.

سُئلت : ألا تعتقد في أن هناك مغالاة من أتباعه في إضفاء هذه الأوصاف عليه ؟

فقلت : لو لم يكن ذلك حقاً لما كانت موالاته إلى يومنا هذا ولافتضح المستور كما تفتضح سير الملوك بعد موتهم مهما خلعوا على أنفسهم أو خلعت بطانتهم عليهم من تمجيد، فشتان بين

---

(١) إمام اليمن أحمد حميد الدين، ص١٢٣.

الأئمة وبين الملوك، وشتان بين أتباعٍ يوالون إلى اليوم وبين بطانة تنافق زمن السلطة"[1].

- الدكتور محمد عمارة: "فلقد أفاض كثيراً في تدعيم الحجج لأهل العدل والتوحيد، كما أفرد الكثير من رسائله وكتبه لهذا الموضوع ، واهتم بتفنيد كل ما يخطر للمجبرة على بال من الحجج والشبهات، وخاصة في كتابه الذي رَدَّ به على الحسن بن محمد بن الحنفية ، .. والذي يعد عملاً فكرياً بالغ الأهمية والخطورة في موضوع العدل والتوحيد"[2].

وقال: "وإلى جانب الثراء الفكري الذي نلمسه عند الإمام يحيى من الكتب والرسائل التي بقيت لنا من آثاره الفكرية، فلقد كان رجل سيف وشجاعة وقتال .. ولقد كانت مقدرته الحربية تمتاز بجوانبها العملية، إذ كان يشارك بنفسه في المعارك والقتال"[3].

وقال: "وإن نظرة سريعة على تعداد الكتب والرسائل التي

(١) في علم الكلام — الزيدية، ص١١٤.

(٢) رسائل العدل والتوحيد ج١ص١٠٣.

(٣) رسائل العدل والتوحيد ج٢ص١٩.

حُفِظَت لنا من آثار الإمام يحيى حتى الآن، والتي تناول فيها الكثير من مناحي الفكر الإسلامي ، تشير إلى مدى علمه وسعة أفقه وطول باعه في هذا الميدان"[1] .

آثاره الفكرية: خلف الإمام الهادي عليه السلام تراثاً فكرياً كلامياً فقهياً جليلاً له التأثير البالغ في الفكر الإسلامي عموماً وقد تميز هذا التراث بالأصالة الإسلامية، ومن ذلك:

كتاب الأحكام، والمنتخب، وكتاب الفنون، وكتاب المسائل، ومسائل محمد بن سعيد، وكتاب التوحيد، وكتاب القياس، وكتاب المسترشد، وكتاب الرد على أهل الزيغ، وكتاب الإرادة والمشيئة، وكتاب الرضاع، وكتاب المزارعة، وكتاب أمهات الأولاد، وكتاب العهد، وكتاب تفسير القرآن ستة أجزاء، ومعاني القرآن تسعة أجزاء، وكتاب الفوائد جزآن، وكتاب مسائل الرازي جزآن، وكتاب السنة، وكتاب الرد على ابن الحنفية، وكتاب تفسير خطايا الأنبياء، وكتاب أبناء الدنيا، وكتاب الولاء، وكتاب مسائل الحسين بن عبدالله (الطبري)، ومسائل ابن أسعد، وكتاب جواب مسائل

---

(١) رسائل العدل والتوحيد ج٢ ص٢٠.

نصارى نجران، وكتاب بوار القرامطة، وكتاب أصول الدين، وكتاب الإمامة وإثبات النبوة والوصاية، وكتاب مسائل أبي الحسين، وكتاب الرد على الإمامية، وكتاب الرد على أهل صنعاء، والرد على سليمان بن جرير، وكتاب البالغ المدرك في الأصول، شرَحَه الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني (ت٤٢٤هـ)، وكتاب المنزلة بين المنزلتين.

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: وقد تركنا قدر ثلاثة عشر كتاباً كراهة التطويل، وهي عندنا معروفة موجودة[١].

وفاته: بعد حياةٍ مليئة بالجهاد والاجتهاد توفاه الله تعالى عشية الأحد ٢٠ ذي الحجة سنة ٢٩٨هـ/ أغسطس ٩١١م، عن ٥٣ عاماً، ودُفِنَ عليه السلام في جانبٍ من المسجد الجامع بصعدة حرسها اللّه، قبره مشهور مزور[٢].

---

(١) التحف شرح الزلف، ص١٧٧.

(٢) الإفادة، ص١٤٥.

الإمام المرتضى لدين الله عليه السلام

هـو: محمد ابـن الإمـام الهـادي إلى الحـق يحيـى بـن الحسين ابـن الإمـام القاسـم بـن إبـراهيم بـن إسماعيـل ابـن الإمـام إبـراهيم ابـن الإمام الحسن ابـن الإمـام الحسن ابـن الإمـام علـي بـن أبـي طالـب عليهم السلام، المرتضى لدين الله، أبو القاسم[(١)].

أمه: فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم بـن إسماعيل بـن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[(٢)].

مولده: تذكر المصادر أنه ولد سنة ٢٧٨هـ[(٣)] كما هـو مـذكور في الكتب، غير أنه يترجح أنه ولد قبل ذلك العام بكثير، ولعله عـام ٢٦٨هـ علـى أقـل حـال؛ لأنـه قـدم مع أبيـه إلى الـيمن سـنة ٢٨٤هـ وحسب قولهم يكون عمره ست سنوات فقط! وقد شارك في الجهاد وتعـرَّض للأسـر، وكيـف يعقـل ذلـك مـن طفـل صـغير غـير مكلـف،

(١) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية، ص١٣٣، الأعلام، ج٧ص١٣٥.

(٢) الشجرة المباركة ص٢٥.

(٣) الإفـادة في تـاريخ أئمـة الزيديـة ص١٣٣، لبـاب الأنـساب والألقـاب والأعقـاب ص٣٣١، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ص٢٥.

ونشأ على طريقة آبائه في التقوى واليقين، والتحلي بآداب الأئمة الهادين.

مكانته: يعد الإمام المرتضى من أعلام الفكر الإسلامي، وله أثر في علم الكلام والفقه والحديث والتفسير، ظهر ذلك جلياً في مصنفاته والتي أفاضت في كل باب هي فيه، وأصبحت مرجعاً هاماً في الأصول والفروع، وكان للإمام المرتضى أثر كبير في دولة الإمام الهادي، ويعتبر ثانيَ إمامٍ جامعٍ للشروط المعتبرة يتولى السلطة السياسية في اليمن، ويعتبر من أئمة الزيدية المعتبَرين، وله مكانة رفيعة في المذهب أصولاً وفروعاً، بل وإسناداً؛ كونه من رواة آثار أبيه الهادي (الأحكام والمنتخب والفنون) وغير ذلك[1].

آثاره الفكرية: خلف تراثاً جليلاً كلامياً وفقهياً وحديثياً على منوال أبيه في أصالة الحجج والبيان ومن ذلك:

كتاب الأصول في التوحيد والعدل، وكتاب الإيضاح في الفقه، كتاب النوازل جزآن، وجواب مسائل المعقلي، وكتاب النبوة، وكتاب الإرادة، وكتاب المشيئة، وكتاب التوبة، وكتاب الرد على

---

(١) الأخبار الضعيفة والموضوعة عند الإمام المرتضى، ص٣٠.

الروافض، وكتاب في فضائل سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وكتاب الرد على القرامطة، وكتاب الشرح والبيان، ثلاثة أجزاء، وكتاب الرضاع، وكتاب مسائل القُدَمِيين، وكتاب مسائل الحائرين، وكتاب تفسير القرآن تسعة أجزاء، وكتاب مسائل الطبريين خمسة أجزاء، وكتاب مسائل مهدي أربعة أجزاء، وكتاب مسائل ابن الناصر، وكتاب مسائل البيوع ثلاثة أجزاء، وكتاب مسائل عبدالله بن سليمان، وجواب ابن فضل القرمطي، وفصل المرتضى، وكتاب النهي[(١)].

وفاته: توفي الإمام المرتضى لدين الله سنة ٣١٠هـ بصعدة حرسها اللّه، وله اثنتان وثلاثون سنة كما قيل، ودفن إلى جنب أبيه عليه السلام[(٢)].

---

(١) التحف شرح الزلف، ص١٩٠.

(٢) الإفادة ص١٧٠.

الإمام الناصر لدين الله عليه السلام

هـو أحمـد ابـن الإمـام الهـادي إلى الحـق يحيـى بـن الحسين ابـن الإمـام القاسم بـن إبـراهيم بـن إسماعيـل ابـن الإمـام إبـراهيم ابـن الإمام الحسن ابـن الإمـام الحسن ابن الإمـام علـي بـن أبـي طالـب عليهم السلام، الناصر لدين الله، أبو الحسن[(١)].

أمه: فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم بـن إسماعيـل بـن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[(٢)].

مولده: ولد بعد ميلاد أخيه المرتضى ولم أقف على سنة معينـة، "ونشأ على الزهادة، وتربَّى علـى النُّسُك والعبـادة، حتـى كـان ذلـك له ديدناً وعادة، واقتبس من نور والده الوقّاد، وكرع في علم السلف والأجداد، حتى ارتوى من معين علمهم، واستمطر ربابـات فهمهـم، فله التصانيف المفيـدة، والكتـب العتيـدة، وهـي مشهورة، وفي الكتـب مذكورة"[(٣)].

(١) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية، ص١٧١.

(٢) الشجرة المباركة، ص٢٥.

(٣) مآثر الأبرار، ج٢ص٦٤٤.

مكانته: يعدُّ الإمام الناصر من أعلام الفكر الإسلامي، وله أثر في علم الكلام والفقه والحديث والتفسير، ظهر ذلك جلياً في مصنفاته، والتي أفاضت في كل باب هي فيه، وأصبحت مرجعاً هاماً في الأصول والفروع، ويعتبر ثالثَ إمامٍ جامعٍ للشروط المعتبَرة يتولَّى السلطة السياسية في دولة اليمن، وهو من أئمة الزيدية المعتبرين وله مكانة رفيعة في المذهب أصولاً وفروعاً.

آثاره الفكرية: خلف تراثاً جليلاً كلامياً وفقهياً وحديثياً على منوال أبيه في أصالة الحجج والبيان ومن ذلك:

كتاب التوحيد في نهاية البيان والتهذيب، وكتاب النجاة ثلاثة عشر جزءاً، وكتاب مسائل الطبريين جزآن في الفقه، وكتاب علوم القرآن، وأربعة أجزاء في الفقه، وكتاب التنبيه، وكتاب أجاب به على الخوارج الإباضية، وكتاب الدامغ أربعة أجزاء[1]، ورسائل إلى طبرستان، والتعزية للإمام المرتضى، والموجز في فقه الإمام القاسم الرسي[2].

وفاته: بعد حياة مليئة بالجهاد والاجتهاد، توفاه الله تعالى سنة ٣١٥هـ، ودفن بصعدة حرسها اللّه إلى جنب أبيه وأخيه[3].

(١) التحف شرح الزلف، ص١٩٧.
(٢) تم العثور عليها بحمد الله مؤخراً.
(٣) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية، ص١٧٢.

وصف المخطوط

(رسالة الناصر لدين الله أحمد بن يحيى الهادي إلى الحق صلوات الله عليهما إلى أهل طبرستان)

تقع الرسالة ضمن مجموع في مخطوط يقع في (٣٠٩) صفحة، ويبدأ بها، وعليه تمليك ليحيى بن الحسين بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن يوسف اليحيري المسمري، وقال ابن أبي الرجال عن آل اليحيري وعن مالك المخطوط: "جماعة أجلاء علماء، بحار متكلمون، نحاة لغويون، يعرفون الهندسيات والإقليدسات، وأنواع العلوم الإسلامية، ولهم في النظم والنثر كل سابقة أولى، وكل سهم أعلى، فمنهم الثلاثة الإخوة يحيى والحسن والحسين بنو عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن شعثم اليحيري المسمري، وفيهم المتقدم الزمان كيحيى، والمتأخر العمر كالحسين، وللحسين ولد علامة بارع في فنون الأدب، مفخراً[1] لأهل اليمن اسمه يحيى بن الحسين بن عبد الله بن أحمد، وهو شارحُ المكنون كتاب القاسم بن إبراهيم عليهم السلام، وفاته سابع شهر رمضان الكريم سنة سبع وسبعين وخمسمائة، قال بعض السادة آل الوزير: غالب الظن أنهم

(١) كذا في الأصل، ويحمل على كونه حالاً، وصاحبه نكرة قد وصف.

في نيِّفٍ وعشرين وخمس مئة، وليحيى بن عبد الله أكبر الثلاثة الإخوة ولد اسمه سليمان بن يحيى بن عبد الله علامة شهير، فصيح بليغ"[1].

لم يدون على المخطوط ناسخه، ولا تاريخ النسخ، إلا أنه من المحتمل أن يكون نُسِخَ في القرن الرابع، وبعض مواصفات المخطوط كما يلي:

- العنوان: (رسالة الناصر لدين الله أحمد بن يحيى الهادي إلى الحق صلوات الله عليهما إلى أهل طبرستان).
- أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين".
- آخره: "وصلى الله على محمد النبي وعلا أهل بيته الطيبين وسلم تسليما".
- عدد الأوراق: ٣٧ ورقة.
- مقاس الورقة: ٢٦,٥ × ٢١,٠سم.
- عدد السطور: ١٣- ١٦ سطراً.
- المصدر: مكتبة (بافاريا) الألمانية في ميونخ.

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور ج٤ص٣٦٣.

نموذج من المخطوط

رسالة الناصر لدين الله أحمد بن يحيى الهادي إلى
الحق صلوات الله عليهما إلى أهل طبرستان

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى أهل
بيته الطيبين وسلم تسليما قد كنت
كتبت إليكم في العام الماضي مع أبي عبد الله
محمد بن إبراهيم الرازي رحمه الله كتابا أشرح
لكم فيه ما حدث بسلة من أمورنا وجميع أخواننا
فلما وصل إلى مكة أدركه ما لا بد منه من الموت
المفني للأولين والآخرين والله يجزي الباقون حتى
لا يبقى إلا الله رب العالمين فمات عفا الله عنا
وعنه وذهبت الكتب التي كانت معه ولقد
كنت أوصيت الحسن بن هارون وصاحبه حفظهما
الله ورعاهما بما أرجوا أن يكونا قد أوصلاه
إليكم إن شاء الله فلما ذهبت الكتب رأيت أن

نص الرسالة

[مقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً.

قد كنتُ كتبتُ إليكم في العام الماضي مع أبي عبدالله محمد بن إبراهيم الرازي[1] رحمه الله كتاباً أشرح لكم فيه ما نحن سبيله من أمورنا وجميع إخواننا، فلما وصل إلى مكة أدركه ما لا بد منه من الموت المفني للأولين والآخرين، وإليه يجري الباقون حتى لا يبقى إلا الله رب العالمين، فمات عفا الله عنا وعنه، وذهبتِ الكتبُ التي كانت معه، ولقد كنتُ أوصيْتُ الحسنَ بن قارون[2] وصاحبه حفظهما الله ورعاهما، وأرجو أن يكونا قد أوصلاه لكم إن شاء

(١) لم أجد له ترجمة فيما توفر لدي.

(٢) لم أجد له ترجمة فيما توفر لدي.

الله، فلما ذهبَتِ الكتبُ رأيتُ أن أُجَدِّدَ لكم أكرم الله عن النار وجوهكم ذكرَ أخبارنا وأحوالنا وما نحن فيه عليه وسبيله حتى يتقرر عندكم على حقيقةٍ، ويتبين لكم على صحة.

فأول ما نذكره ونبتدئ بشرحه بعد توحيد ربنا والصلاة على نبينا صلى الله عليه وعلى أهل بيته ذكرُ إمامنا وإمامكم الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، وذكرُ ما افترض علينا من نسق فضائله ومقاماته من وقت مصيره إلى اليمن ومقامه به إلى وقت وفاته.

[حال اليمن قبل مجيء الإمام الهادي عليه السلام]:

فكان من أمره صلوات الله عليه أنه صار إلى اليمن وبها الجبابرة من أهلها[1]، وكان مذهبه وعزمه، وسره وإعلانه ما أظهر في البلد من المعروف الذي كان بها معدوماً، وإماتة ما أمات من البدع المخالفة للحق، بدمغه لها وحرصه في إماتتها وإخمادها.

ولقد قدم اليمن - رضوان الله عليه - وإن أهلها لا يعرفون الحق، ولا يميِّزون الكذب من الصدق، ولا يدينون لله بدين، ولا

(١) كالدعام وآل يعفر وطريف.

يعرفونه بحقيقة يقين، الذين كانوا بها من الجبارين الظلمة المخالفين إذ كانوا يصدونهم عن ذلك، ويردونهم عن القول به[1]، بل كانوا يتَّخِذونهم خَوَلاً وأموالهم دُوَلاً، يملكون رقابهم، ويدمغون بالباطل رؤوسهم، ويجعلونهم عبيداً يحكمون فيهم بأهوائهم، ويمثلون فعل من مضى من جورة [آبائهم][2]، أقوالهم مختلفة، وقلوبُهم غير مؤتلِفه، فهم فِرَقٌ وأشتات[3]، وأحياءٌ كأموات، مصرون على ما لا يرضى الله به، وقد كان فيهم مع ذلك من المحقين أنفار يسير[4]، يطلبون الحق، ويسألون عن الصدق، ويبحثون عن الإمام، ويقولون بالعدل على ذي الجلال والإكرام، ويقولون ما هم يخفون، ويكتمون الصحيح من مقالهم خوفاً من الظلمة ورعباً من الفسقة.

---

(١) قال نشوان الحميري: حين وليت بنو أمية اليمن، وكان بنو أمية يسمون المعتزلة: شيعة، لمحبتهم علياً رضي الله عنه، فضربوا من الأبناء لهذا السبب اثنتين وسبعين رقبة، فارتدوا عن ذلك. الحور العين، ص٢١٢.

(٢) لعلها كما أثبت.

(٣) كانت اليمن ممزقة يتنازعها آل يعفر وآل زياد وآل طريف وآل الضحاك وآل الكرندي وآل زريع وآل الدعام والقرامطة.

(٤) كأبي العتاهية عبدالله بن بشر، وقبائل من خولان الفطيميون واليرسميون.

[وصول الإمام الهادي عليه السلام إلى اليمن]:

فلما وصل الهادي إلى الحق - صلوات الله عليه ورضوانه - إلى اليمن نزع إليه المحقون من أهلها، فاتّبعه القليل منهم، وعزوا به وقووا بظهوره، فأنار لهم حقهم، وظهرت كلمتهم، وأعلن التوحيد والعدل، وزال الظلم والجهل، فنطقوا بعدل الله وتوحيده صراحاً، وباينوا أعداء الله كفاحاً، وكانوا كما ذكر الله جلَّ ثناؤه إذ يقول ويحكي عمن ارتضى قوله وعمله من أتباع الرسل: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾[هود:١١٦]، وقوله: ﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود:٤٠].

فنهض الهادي إلى الحق - صلوات الله عليه - قائماً بأمر الله، صادعاً بحقه، مثبتاً لحججه، مُظْهِراً لنوره، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، مجاهداً مَنْ عَنَدَ عن طاعة الله، وقاتلاً لمنِ ارتدَّ عن دين الله، مستنصِراً في حق الله، قد باين الظالمين وباينوه، وحاربهم وحاربوه.

والْتَفَّت معه عصابة مؤمنة صابرة، فقاسى من الحروب الهائلة والفتن المظلمة أموراً يجِل وصفُها؛ لعظيم خطرها، فنالته في الله عز

وجل الكلوم والجراحات، والمحن والأسباب المعضلات، ولاقى في الله جلَّ ثناؤه ما لاقى مَنْ كان قبله من آبائه الصادقين وأجداده المصطفين.

وهو من العصابة القليلة والشرذمة اليسيرة، فقاتل أهل العدد والكثرة، والسلاح والقوة، والجيوش الكثيفة، والعساكر العظيمة ممن كان يلاقيه من الفجرة الخائنين الظالمة المخالفين: من آل يعفر[(١)]، وآل طريف[(٢)]، ومن مالأهم ومال إليهم من سائر الجبارين العتاة الفاسقين الذين كانوا في اليمن، من القرامطة والملاعين الذين اجتمعت معهم الخيل والرجال، وكانوا أهل الأثاث والأموال، فلم يألُ بجهده وطاقته [في] إقامة حق ربه وظهور دينه، وعلو كلمته حتى ظهر أمر الله وهم كارهون، بعد إبلائه في الإسلام، وقيامه بالحق في كثير من الأيام.

فباشر بنفسه الجيوش، ولقي الحروب، وفض العساكر، وحارب القبائل، وهزم القنابل[(٣)]، وأوغل في الذمر[(٤)]، ودخل المدخل العظيم

(١) منهم أسعد بن أبي يعفر، وعثمان بن أحمد بن يعفر.
(٢) منهم إبراهيم بن خلف بن طريف.
(٣) القنابل: الرجل الغليظ الشدَّيد والعظيم الرأس، وطائفةٌ من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه. الصحاح، ج٥ص١٨٠٥، المعجم الوسيط، ج٢ص٧٦١.
(٤) الذمر: الحض والتهدد والغضب والتشجيع. تاج العروس، ج١١ص٣٨٨.

الذي قد شهده إخواننا وإخوانكم الصائرون إلينا من قبلكم، فعرفوا مقامه، وصدقوا مقاله، وجاهدوا معه حتى استشهد بين يديه أكثرهم، شكر الله سعيه وسعيهم، وأفلج حجته وحجتهم، وأجزل ثوابه وثوابهم، وجمع بينهم جميعاً مع نبيهم محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى أهل بيته الأخيار الطيبين.

فلن يترِهم اللهُ تلك الأعمالَ الرضية، والمواقفَ السنية، والمقامات الكريمة، بل [فإن الله][(١)] يثيبهم على ذلك أفضل ثواب، ويؤمِّنهم من سوء الحساب وأليم العذاب، فطوبى لهم وحسن مآب.

فلقد كان الهادي إلى الحق - صلوات الله عليه - ومن كان معه من شيعته الصابرين عند عظيم المحنة، وفادح النازلة كما قال الله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران:١٤٦].

---

(١) مضافة في الأصل فوق يثيبهم.

[إنجازات الإمام الهادي عليه السلام]:

وبعدُ ظهرت بالهادي إلى الحق - صلوات الله عليه - وبشيعته المحقين القائمين معه حقوق دارسة، وأقيمتْ أحكامٌ معطلة، ووظِّفَتْ فرائضُ متروكة، وثبتت شرائع في الدين مؤكدة، وأجدَّت حدود مهملة: من قطعِ سارق، وجَلْدِ شارب، ونفيِ محارب، ورجمِ زانٍ مُحْصَن، فنفى المنكر، وأظهر المعروف الأكبر، وقلَّت معه المعاصي لله في السر والعلانية.

ولم يَخَفْ في الله لومة لائم، ولم يدارِ شريفاً، ولم يحِف دنيئاً ولا وضيعاً ولا رقيقاً، بل والله حملت عليه عساكر الظالمين، وأجمعت عليه قلوب المجرمين، ليزيلوا حقه، ويثبتوا باطلهم، فدمغهم بحقه كارهين، وتركهم عزين متفرقين، تصديقاً لقول رب العالمين؛ إذ يقول سبحانه: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[الإسراء:٨١]، فولَّى أعداءُ الله وهم صاغرون، وعلن أمر الله وهم كارهون، وقيل بوحدانيته، وظهر عدله؛ إذ جاهد في الله حق جهاده، حتى لحق بربه نضر الله وجهه، وشكر سعيه، وحباه بأشرف منازل الرضوان، وجعل مقامه في الأئمة يوم القيامة أشرف

مقام صلى الله عليه وعليه السلام، فما كان مقامه - رضوان الله عليه - مذموماً بل كان محموداً مودوداً مقصوداً.

[وفاة الإمام الهادي عليه السلام وطلب البيعة للإمام المرتضى(ع)]:

فلما توفي[1] صلى الله عليه، واختار الله له ما لديه، من جزيل ثوابه، وكريم مآبه، وأراحه من معاشرة الظالمين، ومقاساة الفاسقين الذين لا راحة - والله - لمؤمن في معاشرتهم، ولا أرب له في مقاساتهم، نقله إلى دار ثوابه، ومستقر أوليائه، فعليه أفضل صلاة المصلين، وعلى آبائه الأئمة الطاهرين.

اجتمع الناس[2] إلى الإمام أبي القاسم محمد ابن الهادي إلى الحق – جعلني الله من السوء فداه – يطلبون بيعته، ويحاولون نهوضه؛ لما علِموا من جميل طريقته، وقصْدِ حقيقته، وحسنِ طبيعته، وكريمِ سجيَّته، وكمالِه في علمه ودينه، وإذ وثقوا بورعه وعفافه،

(١) يوم الأحد٢٠ ذي الحجة سنة ٢٩٨هـ.

(٢) يوم الخميس ٢ محرم سنة ٢٩٩هـ/ ٢٩ أغسطس ٩١١م. سيرة الهادي إلى الحق، ص٣٩٧.

وصِدْق قوله؛ رغبوا عند ذلك أن يكون لهم إماماً، وأن يقوم فيهم مقام والده الهادي إلى الحق - صلوات الله عليه -، فكره عليهم ذلك وأبى، وأعرض والتوى[1]، للذي قد تقدم إليكم من علمه، وشرح من أسبابه في تأليف كتبه[2]، ولما قد عاينه ورآه من شرارة كثير

---

(١) التوى عن الأمر: تثاقل، امتنع، أحجم.

(٢) خطب الإمام المرتضى عليه السلام عند تخليه عن الإمامة قائلاً: "ثم إنكم معاشر المسلمين، أقبلتم إليَّ عند وفاة الهادي رضي الله عنه، وأردتموني أقبل بيعتكم، فامتنعْتُ ودافعْتُ، ولم أسلَمْ من إجابتكم إلى ما طلبتم مني خوفاً من استيلاء القرمطي -لعنه الله- على بلادكم، وتعرُّضه للضعفاء والأيتام والأرامل منكم، فأجريْتُ أموركم على ما كان الهادي يجريها، ولم ألتبسْ بشيء من عرَض دنياكم، ولا تناولت قليلاً ولا كثيراً من أموالكم، فلما أخزى الله القرمطي، ﴿**وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**﴾[الأحزاب:٢٥] تدبَّرت أمري وأمركم، ونظرْتُ فيما أتعرفه من أخلاقكم، فوجدت أموركم تجري على غير سننها، وألفيتكم تميلون إلى الباطل، وتنفرون عن الحق ..."، إلى أن قال: "وذلك بعد رجوعي إلى كتاب الله سبحانه، واشتغال خاطري بتدبُّر آياته، وإعمال فكري ونظري في أوامره، وزواجره، ومحكمه، ومتشابهه، وخاصّه، وعامّه، وأمرِه ونهيه، وناسخِه ومنسوخِه، فوجدْتُه يوجِبُ عليَّ التبري من هذا الأمر إيجاباً محكماً، ويلزمني تركه إلزاماً قاطعاً، فاتبعت عند ذلك أمر الله، ونزلت عند حكمه، فإن تقم لله عز وجل علَّي بعد ذلك حجة، ووجدت على الحق أعواناً، وفي الدين إخواناً، قمتُ لأمر الله طالباً لثوابه، حاكماً بكتابه، وإن لم أجد على ذلك أعواناً صالحين، وإخواناً لأمر الله

من أهل دهره وقلة صدقهم، وما قد عاين من قبح معاشرتهم، مع ارتياده لنفسه وطلبه لما يقرِّبه من ثواب ربه، وأرجو أن يبلِّغَه الله أمله، ويعينه على صالح نيته، وبلغنا صالحاً فيه وبه.

[اليمن دون إمام وظهور جرائم علي بن الفضل القرمطي]:

وتوقف الناس على أحوالهم مدة من زمانهم، وأمسكوا فينة من وقتهم، حولاً[1] أو قريباً منه حتى التاثت[2] عليهم الأمور، وظهر فيهم الفجور، وكثرت بكفرها الزنادقة، وطغى الملعون القرمطي ابن

متبعين، لم أدخل بعد اليقين في الشبهة، ولم أتلبَّس بما ليس لي عند الله [فيه] حجة، وكنت في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾[الذاريات:٥٤] أمثلي يدخل في الأمور الملتبسة؟ هيهات! منع من ذلك الرحمن، وتلاوة القرآن، والمعرفة بما أنزل الله في محكم الفرقان، فإني لستُ ممن تغرُّه الدنيا بحسنها، وتخدعه بزينتها، فاتقوا الله عباد الله حق تقاته، وعاونوا الحق والمحقين، وجانبوا الباطل والمبطلين، وكونوا مع الصابرين، واعلموا أنكم ميِّتون، وإلى ربكم راجعون، وعلى أعمالكم محاسبون، وبما كسبت أيديكم مرتهنون، وما الله بظلام للعبيد، والسلام على من اتبع أمر الله، ورضي بحكم الله، وآثر طاعة الله". المصابيح في السيرة، ص٥٩٥-٥٩٧، الحدائق الوردية، ج٢ص٨٥-٨٧.

(١) الحول: عام واحد.

(٢) التاثت عليهم الأمور، إذا التبست واختلطت. تاج العروس ج٥ص٣٤٦.

فضل[1] — عليه لعنة الله — باليمن طغياناً عظيماً، وكفر بالله كفراناً جسيماً، وادعى النبوة، وانتحل الرسالة، وثار [بلعنة][2] [ونجاسة][3]، وكفر كفراً صراحاً، فأحل - بعتوه وجرأته على الله وظلمه - الأمهات والبنات، والعمات والخالات، وانتهك الحرمات، وأحل المحارم المعضلات[4]، وحرَّم الحلال، وعاند الحق والبينات،

(١) علي بن الفضل القرمطي، دخل صنعاء سنة ٢٩٣هـ.

(٢) لعلها ما أثبت.

(٣) لعلها ما أثبت.

(٤) قال فيه بعض شعراء أهل عصره:

خذي العود يا هذه واضربي	نقيم شرائع هذا النبي
تولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
فحط الصلاة وحط الزكاة	وحط الصيام ولم يتعب
لكل نبي مضى شرعةٌ	وهذي شريعة هذا النبي
أحل البنات مع الأمهات	ومن فضله زاد حل الصبي
إذا الناس صلوا فلا تنهضي	وإن صُوِّموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا	ولا زَوْرَةَ القبر في يثربِ
ولا تمنعي نفسك المعرسين	من الأقربين أو الأجنبي
فكيف حللتِ لهذا الغريب	وصرت محرمةً للأبِ؟
أليس الغراس لمن ربَّه	وسقّاه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء	حلالاً فقدست من مذهبِ

=

فسبى هو وأصحابه بفسقهم المؤمنات، وفضحوا المسلمات، فبيعت النسوان بالدراهم، وارتُكِبن بالعظائم، واستُخْدِمْنَ استخدامَ البهائم، ونيلَ منهن الفجور والمكروه، وارتكبهن السفيه، مع قتله - لعنه [الله]- للرجال[1]، وذبحه للأطفال، وحكمه بالمحال، وتركه للناس بأشر حال، فهو وحزبه كما وصف الله إخوانهم من المشركين؛ إذ يقول سبحانه: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾[التوبة:١٠].

انتقم الله منهم، وعجل هلاكه، وأذل نخوته، وقطع دابره، وأحل بعقوبة نقمته، وجعل دائرة السوء عليه، وأخذه أخذ عزيز ذي انتقام، ولا أمهل له، فقد ركب عباده، وثار في بلاده بما لا يرضيه سبحانه، وحكم فيهم بما لم يحكم فيهم أحد قبله من الفراعنة الطاغين، والجبابرة المضلين.

انتصر الله منه لدينه بقوم مؤمنين يكون صفتهم كما قال الله

السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١ص٢٠٦.

(١) كان يجمع بين عدة من النساء في دار، فإذا كانت ليلة الجمعة جمع الرجال فأرسلهم على النساء، وقد تقع الأم للابن والأخت للأخ فيفجرون بهنَّ ليلتهم؛ فمن امتنع من ذلك قتله وأباح دمه. مآثر الأبرار، ج٢ص٦٠٤.

سبحانه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة:٥٤]، صافية قلوبهم محقين، ينفرون في طاعة الله، ويجاهدون جميع أعداه، ويسيرون في الأرض بحكمه، مع إمام حق، ناطق بصدق، يخاف الله ويرجوه، ويؤمن بيوم الحساب، فهو على ذلك قدير، وهو عليه سبحانه هين يسير، لأنه اللطيف الخبير.

وإنما فعل هذا القرمطي الملعون الذي وصفنا بأقصى اليمن النائية عنا، النازحة منا، فأما حيث نحن مقيمون[(١)] فهو موضع مستور، والله محمود.

[مطالبة أهل اليمن البيعة للإمام الناصر أحمد عليه السلام]:

ولما يا إخوتي - أكرم الله عن النار وجوهكم - خاف الناس عندنا، وعظم الأمر عليهم؛ لما بلغهم بل عاينه بعضهم من فعل هذا المجوسي الزنديق القرمطي المشرك بالله، العاتي عليه لعنة الله،

(١) صعدة وما حولها، كانت وستبقى كما كانت بإذن الله تعالى.

ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، اجتمع الناس عند ذلك إلـي، وحملوا أنفسهم عليّ، وكان قولهم أن قالوا: هذا دين جدك محمد رسول الله - صلى الله عليه - مهتوك، والإسلام مستباح مفضوح، وقد كان أبوك الهادي الى الحق - رضوان الله عليه - يحامي دونه، ويجاهد أعداءه، ويقاتل القرامطة[1]، وغيرهم من الظلمة الجورة، ويمنعه أن يُخترَم، وأن يُذَلَّ ويُهدَم، وأن يهان ويُكْلَم، ومالك لا تنهض في أمر الله، وتحكم بسنة رسول الله، وتجاهد أعداء الله، وما بالك وأنت صحيح سوي، وذو مرة قوي، ونحن لك طاعة، ومعك عدة وسند، وقوة نصر بين يديك، ونجاهد مَنْ عَنَدَ عن طاعتك، ونُذلُّ من أرادك، ونصدم من قابلك، والله عز وجل يتولاك وينصرك، ويقيك ويكفيك، فما عذرك غداً عند الله وقد دعوناك إلى طاعته والذب عن الإسلام وحوزته؟

(١) قال القاضي عبدالجبار بن أحمد: "ثم صمد يحيى بن الحسين العلوي رضي الله عنه لجهادهم. وقد كان ابن حوشب هلك وبقي ابن الفضل، فهلك هو وابنه أمام يحيى بن الحسين العلوي كما هو مذكور". تثبيت دلائل النبوة، ص٣٧٨؛ وعن أبي عبد اللّه اليمني - فارس الإمام الهادي - قال: "شهدت معه عليه السلام ثلاثا وسبعين وقعة مع القرامطة وكان يحارب بنفسه". الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية، ص١٣٧.

[اعتذار الإمام الناصر عليه السلام عن البيعة له]:

فأعلمتهم أكرمكم الله: أني لست بإمام! وأنا أعلم من هو أفضل مني في خصاله، وأجمع في كل أحواله، وأوميتُ وأشرْتُ إلى أخي أبي القاسم محمد ابن الهادي إلى الحق - صلوات الله عليه -؛ لمعرفتي بعلمه، وقولي بفضله، وشهادتي بورعه وصدقه؛ إذ كنت لا أعلم أحداً يقوم بعد والده مقامه، ولا يستحق سواه الإمامة، فأبيتُ وأعرضْتُ، والتويتُ وأقصرتُ عن الدخول فيما لا أحب، وانصرفت عما لا يجب لي؛ مما غيري أحق به وأولى مني.

[اعتذار الإمام المرتضى عليه السلام عن البيعة له]:

فسألوا الإمام - [أي المرتضى] - عند ذلك أن يقوم فيهم، وأن يصلح شأنهم، وأن ينفي عنهم ما يخافون على بلدهم مما قد شرحته لكم.

فأعلمهم: أنه متوقف حائر رأيه، ويتدبر أمره، ويجمع بعد مدة على ما يستقيم له مما يقوم له به عند الله الحجة، وتتسق له به الدعوة وينتظر من يرغب في طاعة الله، ويجب بمثلهم مجاهدة أعدائه.

فلما تقرر في مسامعهم مقاله، وفهموا منه مراده، أيسوا من قيامه حينئذ، فأمسكوا من كلامه إلى أن يبلغ من أمره اقتضاه، ويتبعوا في ذلك طلبته.

[عودة أهل اليمن مجدداً لطلب البيعة للإمام الناصر أحمد (ع)]:

ثم عادوا إليَّ فقالوا: قد كلمنا إمامنا فأحسن جوابنا، وبين عذره لنا، والإسلام على ثوى وذهاب وزوال، إلا أن يتداركه أحدكما، أو ينهض فيه من يدفع عنه بأمركما.

فرأيك - أكرمك الله - في القيام بالحق والأحكام، حتى يقوم الإمام المستوجب للإمامة، المستحق للقيام فتسلم أنت ونحن إليه، ونجاهد جميعاً بين يديه، فلا يذهب دين محمد عليه السلام من اليمن جملة، ويدرس ويذهب صفحا، فاللهَ اللهَ في دين الله ودين جدك محمد رسول الله، لا تهمله فتهلك!.

[رد الإمام الناصر عليه السلام على مطالبتهم البيعة له]:

ففكرت فيما قالوا ونظرت، وتأملت في ذلك وتدبرت، وعلمت أن الأمر على ما شرحوا.

فأوقفتهم من أمري على منهاج منير واضح مستبين فقلت لهم: لستُ بإمام، ولا أمير، ولا سلطان، ولا أنا أدَّعي شيئاً من ذلك، ولا أدخل نفسي في شيء من المهالك، ولستُ أدعوكم، ولا أطلُبُكم، ولا آمُرُكم، ولا أنهاكم، ولا أقصر أيديكم، ولا أتتبع عثراتكم، ولي منزل يسعني، ونعمة من الله تغمرني، لستُ أرغب فيما تحويه أيديكم، ولا أطلب ما ملكت أيمانكم، ولا أجعل نفسي للنار عرضاً؛ بل أخاف الله تبارك وتعالى؛ فقد قال جدي رسول الله صلى الله عليه: (من ولي أمر عشرة من المسلمين فما فوق ذلك، ثم لم يَعْدِل كبَّه الله في النار على وجهه)[1]، وقال في موضع آخر: (ما من والٍ يلي عشرة من المسلمين إلا يؤتَى به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، يفكه عدله أو

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢٠ص٢٢٢ بلفظ: ((ما من وال ولي علي أمة قلت أو كثرت، ثم لم يعدل فيهم إلا كبه الله في النار)).

يوبقه جوره)[1].

وأنا أعوذ بالله من سخطه، أو أن أدخل في شيء لا يرضيه، فما الدنيا بأسرها بدارٍ لمن عقل، وأمرها قد بُتَّ، ولست بمعتد بها ولا راكن إليها، ولا ممن يتبع الهوى فيها، إنما يغنيني فيها رضى ربي، والعمل بطاعة إلهي، وطلب النجاة من النار يوم الفزع الأكبر، يوم ﴿لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[الأنعام: ١٥٨].

فأقصروا يرحمكم الله عما لا حاجة لكم إليه من قبلي، فقد عرّفتُكم ما فيه الكفاية من أمري.

[جواب أهل اليمن على رد الإمام الناصر عليه السلام]:

فقالوا: لم ندعُك إلى الدخول في مأثم ولا القيام بغير حق ولا ظلم أحد، إنما دعوناك لما هو واجب عليك، وفرضٌ لازم لك إلى أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعين مظلوماً، وترد ظالماً، وتقوي حقاً، وتخمل باطلاً، وإلى أن تؤازرنا وتعيننا على البر

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٣٧ص٤١٩.

والتقوى، كما أمرك الله وإيانا فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[المائدة:٢].

فهلم بنا يا عبد الله، ننصر دين الله، ونجتمع على ذلك فإن الله سينصرنا كما وعدنا أما تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠]، فأمُرْ فينا بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، واتَّبِع قولَ الله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٧١]، وتدبر قول الله في كتابه، وما بيَّن في فرقانه في السور المحكمات، وما قص على نبيه من الآيات المفصَّلات، وما حكى عليه عبادَه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصر له والقيام بأمره؛ إذ يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة:٤٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٧]، ويقول لنبيه: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[المائدة:٤٩].

ولسنا ندعوك أكرمك الله إلى أن تحكم فينا بغير كتاب الله، ولا إلى أن تحيد عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

أجمعْ بنا على تقوى الله ومراقبته، وحفظ دينه، والانتصار له من عدوه، والقيام بحقه والدعاء إلى سبيله كما أمر نبيه إذ يقول جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾[النحل:١٢٥]، وقال فيما حكى عن أمره: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

وامتثِلْ في ذلك قولَ الله جلَّ ثناؤه وأمره وفرضه إذ يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة:٨]، فاسمَعْ إلى قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[الأعراف:٨٥] الآية، ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف:٨٦].

فتكون - أعزك الله - هذه سبيلَك وسبيلنا معك، حتى ينهض

الإمام، ويعز الله بك الإسلام، ويحفظ الأيتام، ويرعى الأنام، ويحاط البلدان، من صولة الطاغية ودعاة الشيطان، فإذا استقام عمود الحق، واتسق منار الصدق، ونُسِيَ الجور والفسق، فلم يشرَب خمر، ولم يتْبَعْ منكر، ولم يُرتكَب زنا، ولم يُؤكَل ربا، ولم يُتَعَلَّقْ بفاحشة حمدنا الله على ذلك، وعلمْتَ وعلمنا أن ذلك مقامٌ محمود عند الله سبحانه غير مذموم، وأن حظك وحظنا الأوفر، ونصيبك ونصيبنا الأكثر، وأن سهمك وسهمنا الفائز الأكبر، وإنك وإيانا على منهاج [وثغر][1]، وأنت بذلك المصيب ونحن معك محفون.

وأنت - أكرمك الله - فلا تطلب من الدنيا مالاً ولا عقاراً، ولا تريد اكتناز ذهب ولا فضة، ولا [إعمار][2] مملكة، ولا دخولاً في فتنة، ولا اضطهاداً ليتيم، ولا قهراً لضعيف، وإنما تريد جهاد قوم مشركين، قرامطة ضالين، وزنادقة ملحدين غير موحدين ولا متأولين، قد بارزوا الله جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه بالكفر الصراح والقول بذلك والإفصاح، فيعلم الله منك أنك مُجْلِبٌ عليهم بخيلك

---

(١) لعلها المثبتة.

(٢) لعلها المثبتة.

ورجلك، ومستنصِرٌ عليهم بالله سبحانه ثم بأهل طاعتك، مجتهد في ذلك، وأنك [كالف][1] لهم عما يريدونه من إفساد الدين، ونكاية المسلمين، وإبطال ما أسسه إمام المسلمين الهادي إلى الحق ابن رسول رب العالمين، من إحياء الكتاب المبين، والحق اليقين، وسنة محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، فأنت تعلم أنك والحمد لله في ذلك وغيره على الطريق المستقيم، والمقام المحمود الكريم؛ إذ أنت ومن معك المحقون، ومن خالفك فهم المبطلون، وأنت وحزبك المؤمنون، وبسنة محمد صلى الله عليه متمسكون، وأنك ومن معك موالون لأولياء الله، معادون لأعدائه، مجاهدون لزنادقة كفَرة ظلَمة فجَرة، لا يصلون، ولا يزكون، ولا يحجون، ولا يعرفون الله، ولا يوقنون ببعث ولا حساب، ولا ثواب ولا عقاب.

فمتى نهض الإمام ودعاك وإيانا، أجبتَه وأجبناه، ونصرتَه ونصرناه، وعضدتَه وعضدناه، وواردْتَه ووارددناه، وقمتَ ونحن بين يديه، وسعينا جميعاً في طاعته، وظهر بك الحق وبأسبابك وعلى يديه، فإنك إن لم تفعل ذلك هلكت البلاد، واضطُهِد العباد،

(١) لعلها المثبتة.

وخشينا عليك الهلكة؛ لطلبتنا إليك أن نقيم الحق بك، فلا حجة لك في ترك إجابتنا، ورفضنا وإهمالنا.

[موافقة الإمام الناصر عليه السلام]:

حتى رعوا قلبي إلى كلامهم، وصدَّق جملة مقالهم، ورغبتُ في طاعة ربي، وثواب خالقي، فقمتُ في طاعة الله مفوِّضاً أمريَ اللهَ، وناصراً لدينه، وقائماً بحكمه، ومجاهداً لمن عند من أهل الشرك والردة والكفر واللعنة عن طاعته، حتى يعز الإسلام بنا، ويقوم الحق بأسبابنا، ويكون ظهوره أولاً وآخراً بدعوتنا، فنهضتُ على هذا السبيل مدعواً لا داعياً، وناصراً للدين، لا للإمامة مدعياً، ولا بالإمارة متسمياً، الله بذلك شاهد ووكيل، وعلى ما أقول حافظ وكفيل.

[مبررات قبول الإمام الناصر عليه السلام لهم]:

وابتغيت في القيام بهم والإجابة لدعوتهم[1] قول الله سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ

(١) وذلك يوم الأحد ٩ صفر سنة ٣٠٠هـ. سيرة الهادي إلى الحق، ص٤٠٠.

بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:١١٤]، وأنا أرجو أن يكون نهوض إمامنا قريباً، وقيامه وشيكاً، وأن يكون الحق قد دنا وقرب، وأنا فقد يعلم الله ما رغَّبني إلا في تطهير أرضه من النجاسة، وإنقائها من الرجاسة، والفواحش والمنكرات، ونفي الضلال والجهالات، وأرجو أن يوليني الله ذلك بأنصارٍ مؤمنين وقومٍ مجتمعين، يبيعون أنفسهم من الله بأربح الأثمان، فينجون بذلك من الغبن والخسران، بمجاهدة أهل الردة والعصيان، ويتبعون من سبقهم من إخوانهم بإحسان، ويرغبون فيما رغَّبهم الله فيه من الثمن الربيح، في البيع الصحيح؛ لأنه يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١١١]، فبين سبحانه نياتهم ومن هم، ووصف أحوالَهم فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:١١٢]، فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أوليائه الفائزين، وحزبه الغالبين، وجنده المنصورين،

وأن ينجينا وإياكم من سَخطه، وأن يختم لنا ولكم بعفوه ومغفرته بمنه ورحمته.

[نفي الإمام الناصر عليه السلام أن يكون إماماً أو سلطاناً في قيامه]:

وأنا أكرمكم الله في وقتي هذا فلستُ بإمامٍ تجب طاعته، ولا بسلطان جائر يغشم الناس بظلمه ومعرته، ولا بطالبٍ ما ليس له - معاذ الله أن أكون كذلك - أو على شيء من ذلك، أو أنسب نفسي إلى ما هنالك، بل أنا مترقِّب للإمام، وراجٍ له، ومسلم إليه، وقائم بين يديه، وإني لأشاوره - جعلني الله فداه - في أموري، غير كاتم شيئاً من أحوالي، ولم ير أيده الله أن يقوم في وقته هذا، ولم يحضني في شيء من فعلي، ولم يأمرْني بتركِ شيء مما نهضتُ فيه، بل هو يصوِّب فعلي في ذلك للذي شرحته، ولمعرفته - أعزه الله - بقصدي في ذلك ومرادي، ولما اليمن عليه مُشْرِف من هذا الزنديق الكافر الغوي الفاجر ابن الفضل القرمطي - لعنه الله -، ولما قد ارتكب به أهل اليمن مما قد سقتُه في صدر هذا الكتاب، وجهاد هذا الملعون - أخزاه الله - فواجبٌ على مَنْ آمن بالله.

[الحث على الزهد في الدنيا وتقوى الله]:

فرحم الله عبداً فكر ونظر، فتخلص من دنياه الفانية إلى آخرته الباقية، التي يدوم نعيمها، ويأمن ساكنها، وينجو من هرب إليها، فجعله[1] الله له معتصماً وملجأ وحرزاً ومنجى؛ لأن الله جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه يقول: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾[هود:١٥]، ويقول جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[الإسراء:١٩].

فطوبى لمن كانت الآخرة بغيته، والتقوى شريعته، والنجاة طلبته، والإخلاص سريرته، والحق مراده، أولئك الفائزون، وعند الله سبحانه الناجون، ومن الفزع الأكبر يوم القيامة آمنون، وفي جنات عدن خالدون، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر:٤٨].

فأما الدنيا فليست بدارٍ لعاقل، ولا لمؤمنٍ كامل، بل هي دار الغرور، وأشبه شيء بالدور، تزول زوال الأفياء، وتخترم من أهلها

(١) كذا، ولعلها: فجعلها.

الأحياء، فكلهم ذائق الموت غداً، وسالك سبيل من مضى، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:٣٧]، فلقد ظعن عنها الأولون إذ لم يجدوا محيصاً، ولا من سكرة الموت خلوصاً، وقد كانوا أطول منا أعماراً، وأكثر آثاراً، فجمعوا كثيراً، وبنوا شديداً، وأملوا بعيداً، فأصبح جمعهم بورا، وأملهم غرورا، وبناهم قبورا، لم يبقوا لما جمعوا، ولم ينفعهم ما حازوا، ولم يبلغوا ما أملوا، ثم خلوه وهم ينظرون، فخربت ديارهم، وفنيت أعمارهم، وانقطعت آثارهم، وذهبت أموالهم، وحُصلّوا بأعمالهم، ثم يصيرون إلى عدل لا يجور، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩]، خيراً فخير أو شراً فشر، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧]، ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[يونس:٣٠].

فنعوذ بالله من الحيرة والعمى، والخوض في ميادين الهوى، فالمغبون والله حظاً والمنحوس نصيباً مَنْ ركَن إلى هذه الدنيا الحقيرة اليسير أمرها، الزائلة الزائل ما عليها، والآخرة فهي دار القرار، ومحل المتقين الأبرار، في جنات تجري من تحتها الأنهار،

﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[الرعد:٣٥].

ونحن نسأل الله أن يخلصنا وإياكم من الهلكة، وأن ينجينا وإياكم من كل خوف ونقمة، وأن يكفينا وإياكم المهم من الدنيا والآخرة، وليس شيء هو أجلّ قدراً ولا أعظم خطراً ولا أرفع ذكراً من تقوى الله ومراقبته في سر أمركم وعلانيته، والاجتهاد لله في طاعته، والعمل بمرضاته، والزهد في الدنيا، والخروج من مأثمها، والنظر فيما يخرج منها، فأوشك والله زوالها وانقضاؤها، فالموت فيها ليخترم الكبار والصغار، والعبيد والأحرار، والأخيار والأشرار، و﴿كل شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص:٨٨].

[أهمية كتاب الله تعالى القرآن الكريم]:

ولا موعظة أشفى، ولا لكل مؤمن أكفى، من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[الأنفال:٢٩]، ويقول سبحانه وجل عن كل شأن شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق:٢]، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[الطلاق:٥]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢]، وقال جلّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧١].

مع ما رغَّب الله فيه من طاعته، وخوَّف من غِبِّ معصيته، وذكَرَ ما أعدَّ لأهلِ طاعته من الثواب الكريم، والمحل الشريف العظيم، وحثَّ عباده عليه من الجهاد في سبيله، والنفير إلى أنبيائه والأئمة العاملين بما أمرهم به، جعلنا الله وإياكم من ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزمر:١٨]، ففي كتاب الله الشفاء والكفاية لمن اهتدى، وهو حرز لمن تعلق به، ونجاة لمن عمل بما فيه تفصيلاً، ونزلّه على لسان نبيه بالحق تنزيلا، وجعله لنا ولكم علماً لنقتدى بضيائه، ونؤم قصد سنائه، وجعلنا وإياكم ممن يتلوه حق تلاوته على بصيرة من أمره، ويقوم به على حقيقته، ونفعنا وإياكم بذلك، وخلَّصنا وإياكم به من موبقات الآثام، وأحلنا وإياكم دار السلام، إنه ذو المن والإنعام.

[خاتمة]

قد شرحت لكم - أكرمكم الله - من قصتي لما أنا عليه، ومرادي ومذهبي ما فيه الكفاية، ولولا كراهية التطويل في الخطاب، وكثرة الشرح بالإطناب لطال الكتاب، غير أني اختصرْتُ لكم جملاً من الأمر، واقتصصْتُ ما نحن فيه وعليه في هذا الدهر؛ لعلمي بمشاركتكم إيانا في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والمحبوب من الأمر والمكروه؛ إذ أنتم الإخوة والأولياء، والنصرة والأحباء، ومن يتطلع إلى أخبارنا، ويحب سلامتنا في أنفسنا.

وبعد - أكرمكم الله - فإخواننا وإخوانكم واصلون بكم إن شاء الله، وقد ألقينا ما سيلقونه إليكم، ويعرفونكم من أمرنا وقصدنا ما لا يؤدي أكثرَه كتابُنا، ولا يكمل فيه خطابنا، فاعلموا ذلك واعملوا على حسبه إن شاء الله، ونحن نسأل الله أن يبلِّغهم سالمين، وأن يوديِّهم إليكم بأحسن حالٍ ناعمين، فبالله أنا من الوجد على من مضى منهم أولاً ولحق منهم آخراً لعلى ما قد علمه الله من الشوق إليهم، والتوق إلى لقائهم والأنس بهم، والاعتداد بما هم عليه في جميع أمورهم؛ للثقة بصحيح الديانة، والاعتماد على الوفاء منهم بالاستقامة، وأن ضميرنا فيهم لنحو ظاهرنا، فأحسن الله عنا وعن الإسلام جزاهم، وأطال بقاهم،

وبلغهم نياتهم، وجعل الجنة ثوابهم ومأواهم، فنحن لهم شاكرون، وبالخير مثنون، وبكل ما يستأهلونه ويستحقونه ذاكرون، لهم ولإخوانهم المقيمين عندنا الذين آسوا بأنفسهم، وزهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة، وطلبوا الفوز من الله، وباينوا أعداء الله، تولى الله عونكم جميعاً على طاعته، ووفقكم لمرضاته بمنه ورأفته.

ونحن - أكرمكم الله - متطلِّعون إلى أخباركم، محبون لعلم سلامتكم، متوقِّعون لكتبكم، مسرورون بما يوليكم الله من نعمه وينيلكم، فلا تدَعوا كتابكم إلينا بخبركم وحالكم وجوابكم؛ فإنا نأنَسُ بذلك، ونعتد به من بركم موفقين إن شاء الله، أسعدكم الله بطاعته، وألهمكم العمل لمرضاته، وختم لنا ولكم بعفوه ومغفرته، ونجانا وإياكم من سخطه، وجعلنا وإياكم من أوليائه المؤمنين، وحزبه الغالبين الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين وسلم تسليماً.

الخاتمة

بعد ذكر رسالة الإمام الناصر عليه السلام إلى أهل طبرستان وما تضمَّنت من مبادئ سياسية جليلة، يأتي التساؤل: هل استمر النظام السياسي الزيدي على هذه الكيفية من طبيعة الإمامة ومواصفات الأئمة وسيرهم؟

يؤكد التراث الزيدي استمرار ذلك من الناحية النظرية دائماً ومن الناحية العملية كثيراً، وقد جاء ذلك من خلال القوانين الدستورية للإمامة في بابها وباب السير أيضاً، وكذلك في سير الأئمة أنفسهم، وللمزيد من التأكيد على هذه الحقيقة يمكن الاعتماد على مصادرَ غيرِ زيدية، وقد وجِد بعضٌ منها في الإمامة عموماً والأئمة كما يلي:

- قال الرحالة الجغرافي محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي - المتوفى سنة ٣٨٠هـ -: "والعلويّة على صعدة وهم أعدل الناس"[١].

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٠٤.

- قال المؤرخ عبد الباقي بن عبد المجيد المخزومي - المتوفى سنة ٧٤٣هـ -: "وأئمتهم لا يحجبون ولا يحتجبون، ولا يرون التفخيم والتعظيم، الإمام كواحد من شيعته: في مأكله، ومشربه، وملبسه، وقيامه وقعوده، وركوبه ونزوله، وعامّة أموره، يجلس ويجالس، ويعود المرضى، ويصلّي بالناس وعلى الجنائز؛ ويشيّع الموتى، ويحضر دفن بعضهم. ولشيعته فيه حسن اعتقاد، ويستشفون بدعائه، ويمرّون يده على مرضاهم، ويستسقون المطر به إذا أجدبوا، ويبالغون في ذلك مبالغة عظيمة.

قال المقرّ الشهابيّ ابن فضل الله : ولا يكبر لإمامٍ هذه سيرته (في التواضع لله وحسن المعاملة لخلقه، وهو من ذلك الأصل الطاهر ، والعنصر الطيب) أن يجاب دعاؤه، ويتقبّل منه"[(١)].

- قال المؤرخ أحمد بن فضل الله العمري - المتوفى سنة ٧٤٩هـ - عن أئمة الزيدية في اليمن: "وهذا الإمام وكلّ من كان قبله على طريقةٍ ما عَدَوْها، وهي إمارة أعرابية، لا كِبرَ في

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٥ص٤٩ ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٤ص٥٣.

صدورها، ولا شممَ في عرانينها، وهم على مِسكةٍ من التقوى، وتردٍّ بشعار الزّهد، يجلس في نديّ قومه كواحدٍ منهم، ويتحدّث فيهم ويحكم بينهم، سواء عنده المشروف والشّريف، والقويّ والضعيف. قال: وربما اشترى سلعته بيده، ومشى بها في أسواق بلده، لا يغلّظ الحجاب، ولا يكل الأمور إلى الوزراء والحجّاب، يأخذ من بيت المال قدر بُلغته من غير توسّع، ولا تكثّر غير مشبع، هكذا هو وكل من سلف قبله، مع عدل شامل، وفضل كامل"[١].

- قال الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - المتوفى سنة ٨٥٢هـ -: "فإن بالبلاد اليمنية وهي النجود منها طائفة من ذرية الحسن بن علي لم تزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المئة الثالثة ... وكبير أولئك أي أهل اليمن يقال له: الإمام، ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً متحرِّياً للعدل"[٢].

- قال العلامة صالح بن مهدي بن علي المقبلي - المتوفى سنة

(١) صبح الأعشى، ج٥ص٤٩.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج١٣ص١١٧.

١١٠٨هـ -: "وإذا حققْتَ وأنصفْتَ فلا فرق بين الحسين رضوان الله عليه وغيره؛ لأن أئمة الزيدية كلهم صلحاء في الدرجة القصوى، يعلم ذلك من يعرفهم بسيرهم ضرورة ، كما يعلم صلاح عمر بن الخطاب وعدله.

وعذر المائلين عنهم عذر الرافضة في عمر مثلاً، وهي أعذار باطلة لا تتفق في سوق المتقين"[(١)].

- قال العلامة محمد رشيد رضا - المتوفى سنة ١٣٥٤هـ -: "ولم يتولَّ أحدٌ منهم الإمامة بعد أن نزل عنها الإمام الحسن السبط عليه السلام إلا أئمة الزيدية في اليمن؛ فكانوا وما زالوا أفضل وأعدل أهل بيت تولوها بعد الراشدين"[(٢)].

- قال العلامة محمد بن علي الأهدل الأزهري - المتوفى بمصر سنة ١٣٧١هـ - معلقاً على كلام ابن حجر: "فلا شك أن هذه شهادة حقة، ووثيقة تاريخية تثبت للمنصِفِ شريف الضمير من النوازع والأهواء، تمسك أهل اليمن السعيد بالإمامة الهاشمية

---

(١) العلم الشامخ، ص٥١٩.

(٢) الخلافة، ص٣٢.

القرشية منذ فجر القرن الثالث إلى أواسط القرن التاسع الذي أظهر الحافظ كتابه الفتح فإنه أكمله أول يوم من رجب في سنة ٨٤٢ هجرية، وننقل لك أساس هذه الإمامة، ونحن نقول بما يثبته الواقع والمحسوس، لا تزال هذه الدولة القرشية كذلك في عصرنا الحاضر، وهو عصر سليل أهل بيتٍ وجب حبُّهم على الإسلام عرباً وعجما؛ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، خلاصة العناصر النبوية ، مصباح المشكاة العلوية ، أعظم رجل اقتحم خطر السياسة ونجا، وحافظ على دينه ووطنه من الاعتداء ، أبو السيوف النبوية والأقمار الهاشمية أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدين ، كما هو معلومٌ لكل مطَّلِعٍ على حقيقتها وسيرها، وما سطرته صحف العالم على لسان مَنْ وفد إليها من عظماء المسلمين وغيرهم ، ورأى بعيني رأسه طهارة البلاد اليمنية من رجس المسكرات ، وبيوت الزنا ، ودور الربا والسينما ، ومراسح التمنيل[1] والخلاعة ، والرقص والقمار الذي حرمه الواحد القهار، ووعد مرتكبه الفقر والخسران، والعذاب الأليم

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: مسارح التميل.

في دار القرار، لأن شرط من تربَّع على كرسي هذه الإمامة المكرمة وأسُّه الوحيد العِلْمُ، وهو باقي مفعوله عندهم إلى عصرنا الحاضر، لا ينال هذا الشرف النبوي من الأشراف إلا من قضى مدة من أول حياته في تلقي العلوم الدينية، وتوابعها على جهابذة العلماء، واعترفوا ببلوغه رتبة أهل التحقيق دراية وفضلاً متوسِّمين فيه العدلَ والإنصاف، لا يخاف في الله لومة لائم، حرصاً على العمل بالشريعة الغراء طِبْقَ ما أمر الله تعالى ورسولُه"[1].

- قال الدكتور أحمد محمود صبحي - أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الإسكندرية -: "عرف التشيعَ أئمةٌ اقتصروا على العلم دون الجهاد، كما عرف أئمة غلبوا الجهاد على العلم، وعرف التشيع وغير التشيع رجالَ دولة يظنون أن حجاباً يفصل بينهم وبين الرعية لازم من أجل دعوى غرس المهابة لهم في قلوب الناس، ولكننا بصدد إمام يطعم بيده، ويؤاكل المساكين معه ، أما أن يتحد العلم مع الجهاد على نحوٍ فائقٍ، وأن يكون الورع

(١) نثر الدر المكنون، ص١٣-١٤.

والزهد ومواساة المحتاجين من خصال رجل الدولة فذاك ما لا يكون على مرِّ العصور والدهور إلا في الواحد بعد الواحد، ومنهم الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين"[1].

- قال الفقيه العلامة حميد بن أحمد المحلي - المتوفى سنة ٦٥٢هـ -:

"والعجب كل العجب ممن أعرض عن إمامتهم، ولم يرتضِ بزعامتهم، ثم عمد إلى الجهلة الطغام، من جفاة الأنام، الذين شرِبوا من الجهل ملحاً أجاجاً، وأطفأوا من العلم سراجاً وهَّاجاً، من بني أمية وبني العباس، الذين اشتهروا بارتكاب الجرائم، ومقارفة العظائم، وعزفت عليهم القينات، وأدْنَوا المغنين والمغنيات، وتركوا الصلوات، وناموا عن العتمات، وشربوا القهوات، واتخذوا بطانتهم أرباب المنكرات، وظهر تفاضلهم في اختيار نغمات الألحان.

فأين هؤلاء من أئمة الزيدية الذين تنزهوا عن العصيان، وأعلوا منار الإيمان، إذا جنَّهم الليل فرهبان يترنمون بالقرآن، ويستنبطون غرائبه، ويستخرجون عجائبه، وإذا تلاقت الأبطال، وتداعت نزال،

---

(١) في علم الكلام — الزيدية، ص١٤٢-١٤٣.

وكشفت الحرب عن ساقها، ومدَّت بأوراقها، أحسنوا في الله الجلاد، وقاموا بحق الجهاد، تسيل نفوسهم على شفار السيوف، ويستهونون خوض بحار الحتوف، طلباً بثأر الدين والإسلام، من ذوي المروق والإجرام، أفيرضى عاقل لبيب، أو رشيد أريب أن يطَّرِح طاعتهم، ويرفض إمامتهم، لإمامة بني العباس! الذي شهروا بالشراب، واختيار أنواع الغناء على معاني الكتاب، ومن نظر في آثارهم القبيحة علم صحة ما قلناه، فإن مثالبهم تحكي مناقب العترة عليهم السلام في الظهور، وإن شئت طالعت الأغاني وما أودع لهم من الفضائح، وكذلك تاريخ الطبري وما حكى لهم من القبائح"[(١)].

وبهذا يتبين للمنصف كذِبُ وزيفُ ما رُمي به تاريخ اليمن عموماً، والإمامة والأئمة خصوصاً، وأن ذلك لم يصدر عن علم ودراية، بل بدوافع سياسية ومذهبية، وإفرازات نجدية وهابية.

---

(١) الحدائق الوردية، ج٢، ص٣٨٣.

مُحتويات الكتاب

"لكن أهل البيت في تاريخهم الطويل، كان الإمام الذي يحكم هو مَن يُسَطِّر بيده وجوبَ الثورة عليه في ما إذا ظَلَم، وجوب الخروج عليه في ما إذا انحرف عن المسيرة العادلة، كان الإمامُ الهادي صلواتُ الله عليه يبايع الناسَ على "أن تطيعوني ما أطعتُ اللهَ فيكم فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم، بل يجب عليكم أن تقاتلوني". والأصلُ معروفٌ في المذهب الزيدي [الخروج على الظالم] مَن الذي توارثه جيلا بعد جيل؟. من الذي كتبه بيده؟

هم الأئمة الذين حكموا، هم الذين كانوا يرون أن القضية ليست قضية مرتبطة بالزيدية. هي قضية قرآنية، أنه يجبُ أن تُرَبَّى الأمة تربية جهادية في كل مراحلها، وفي ظل أيِّ دولة كانت. فكانوا هم مَنْ ينطلقون ليُرَبُّوا الناس تربية جهادية. تربية إيمانية متكاملة."

الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي

ملزمة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق - الدرس الثاني

٦ صفر ١٤٣٩هـ

ذكرى وصول الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ع) إلى اليمن



٦ صفر ١٤٣٩هـ

ذكرى وصول الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ع) إلى اليمن

